

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق
صلى الله عليه وسلم

السلسلة الثانية

جمع وشرح فضيلة الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب النيدى

إشراف فضيلة الشيخ

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول

صلى الله عليه وسلم

جمعية شاعر الرسول ﷺ الخيرية الإسلامية بطنطا

لجنة إحياء التراث

القصص الحق

لسيد الخلق ﷺ

الجزء الثانى

اثنتان وأربعون قصة بأسلوب النبي ﷺ

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

الشيخ الإمام

محمد خليل الخطيب

أشرف على طبعه

محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

بجمهورية مصر العربية

غرة رمضان ١٤٢٨هـ - أغسطس ٢٠٠٧م

محمد خليل الخطيب النيدي

رقم الإيداع ٢٥٢٢٦ / ٢٠٠٧

القصة الصادقة ، والعظة البالغة، والبلاغة المعجزة

القصص الحق لسيد الخلق ﷺ

جمعها وشرحها شاعر النبي ﷺ

فضيلة الإمام الشيخ

محمد خليل الخطيب النيدي

****

رسول الله شــاعرُك الخطيــبُ ... له في جاهك الأمــل الرحيــبُ

ولن يشقى وأنت لــه حبيــبُ ... وفيك له مــن الشــعر اليتــيمُ

إليكَ أُهْدِي أجَلَّ الرُّسْلِ قاطِبَةً ... خمسينَ نيديَّــةً نُصْــحاً لأُمَّتِكَــا

غَرَّاءَ مشْرِقَةً ، سَــرَّاءَ ذاكِــرَةً ... سَبِيلَ مَنْ فاز في الدَّارَيْنِ أوْ هَلَكَا

منكمْ إليكمْ ، وأرْجو أن تَقَبَّلَهَا ... من شاعرِ الْحَضرَةِ الغراءِ حَضْرَتِكَا

وشِعرهُ ما تعدَّاكُمْ وعِتْــرَتَكُمْ ... فَاشْفَعْ له ولمنْ يهــواه أوْ تَرَكَــا

(الخطيب)

ترجمة المؤلف

الشيخ الإمام / محمد خليل الخطيب

هو محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد بن الشيخ السيد بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ أحمد الخطيب، ولد بقرية نيده مركز أخميم محافظة سوهاج في التاسع من شهر مارس سنة ألف وتسعمائة وتسع للميلاد ١٣٢٧هـ وعائلته من أشهر عائلات أخميم وشهرتها بالعلم قديمة ، وينتهي نسبه إلى رسول الله ﷺ ، وأنعم الله عليه بحفظ القرآن الكريم في طفولته، والتحق بمعهد أسيوط الديني وحصل على شهادة الابتدائية سنة ١٩٢٤م ، ثم حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٩٢٨م ، وشهادة العالمية سنة ١٩٣٣م وشهادة التخصص (الدكتوراه الحالية) في اللغة العربية سنة ١٩٣٦م .

مؤلفاته :

لقد أثرى رضي الله عنه المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المتنوعة ، فلقد صنف في الفقه والحديث واللغة والشعر والقصص والتفسير والتراجم، وقد ساعد على ذلك ملكته المتقدة وذوقه الرفيع وحسه المرهف ، فكان مثالاً للعالم والأديب - والباحث المتئد والمنقب الصبور — فهل أتاك نبأ كتابه الفريد (إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام) الذي زين المكتبة الإسلامية بما حواه من خطب رسول الله ﷺ كاملة ومرتبة ومصححة ، وأعده الشيخ الإمام في مدة خمسة عشر عاماً .

وهل وصل إلى مسامعك خبر كتابه القيم: (غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب) الذي أعده الشيخ في عدة سنوات غاص خلالها في بطون

أمهات كتب الأدب وغيرها من كتب العرب بحثاً عن شعر أبي طالب حتى جمع شتاته، ورتب أبياته، ووضح غامضه، وبين مشكله- ساعده على ذلك ثقافته الواسعة، وزاده الكثير من مفردات اللغة ، ولا عجب فهو شاعر كبير له في الشعر باع وأي باع، ولو اطلعت على ديوان شعره (سيطبع قريباً إن شاء الله) لتملكك العجب إذ أن الشيخ الإمام مع أنه أوقف شعره على الرسول ﷺ إلا أنه كان يعرض كثيراً من القضايا التي تتصل بالإسلام من قريب أو من بعيد بطريقة تخاطب عقلك ، ولا تعارض وجدانك، ويرد على كل تساؤل في نفسك فلا يسعك إلا التسليم بما قال، إذ ليس ما قاله إلا عين ما جاء به الشرع الحنيف - فكلامه كله لا يخرج عن آية أو حديث ، أو ما تواتر عن الأئمة الأعلام. أضف إلى ذلك أن لكتاباته مشرباً خاصاً وطريقة لم يحد عنها أبداً فما وافق الشرع كان الشيخ الإمام ناقلاً له موضحاً إياه، وما خالف الشريعة ضرب به الشيخ عرض الحائط ونفر منه — فهو لسان حق يدعو إلى الله على بصيرة.

وإن تعجب فعجب أمر تمكن الشيخ الإمام في اللغة إذ تمكن منها أيما تمكن وآية ذلك (ألفية الخطيب في فن الصرف) التي نظمها ثم شرحها شرحاً وافياً يدرك قيمته أئمة اللغة العربية وفرسانها.

وإن أنس لا أنس كتابه القيم : (القصص الحق لسيد الخلق ﷺ) -الذي بين أيدينا- وقد جمع فيه القصص النبوي الكريم ثم شرحه في عدة أجزاء وعلق عليها تعليقاً علمياً بارعاً وهذا كله يؤكد مواهبه المتعددة التي تجسدت في شخص واحد هو شخصه الكريم ﷺ .

ومهما يكن من شيء فإن هذه المصنفات ما هي إلا غيض من فيض، وقليل من كثير ، إذ لمولانا الشيخ الإمام من الكتب القيمة ما يماثل سنوات عمره المبارك.

الشيخ والتصوف :

ولفضيلته مدرسة كبرى في التصوف أعادت لنا الصورة المضيئة النقية لما كان عليه المسلمون الأوائل؛ أركانها : العلم والذكر والقدوة الحسنة- يسير عليها الآلاف من تلامذته المخلصين وما زالوا ينقلونها إلى كل مكان.

كان غفر الله لنا وله مقتفياً آثار النبي ﷺ وأصحابه الكرام لا يخرج عما كانوا عليه، وقصده إحياء سنته وإقامة طريقته وتوضيح منهجه، الله غايته ووجهته، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاده وعدته، ومحبته للنبي ﷺ هي روحه وسر قوته .

الشيخ والكرامات :

كرامات الشيخ في كل يوم مئات بل مع كل نفس للإمام الراحل كرامة ولن أتعرض هنا للحديث عنها فهي أمور عادية جداً لشيخنا الإمام ومن كثرتها واعتيادنا عليها كنا لا نلتفت إليها؛ وهذه هي رغبة الشيخ حتى تخيلنا أنه لا يعتقد فيها ولم يكن هناك أحد يجرؤ على التحدث عنها في مجلسه فهو يفصل تماماً بين حياته الخاصة مع ربه وحياته بين الناس كعلم من أعلام الشريعة يقف عند نصوصها ويسير مع روحها فلا يتجاوز ذلك ولو كلفه حياته ، ودائما يسأل الله حسن الخاتمة ويطلب من الله المعونة والمغفرة .

ومن أراد المزيد من المعرفة عن روائع الشيخ الخطيب غفر الله له فعليه قراءة كتاب (نفحة القبول في سيرة شاعر الرسول ﷺ) [1] فهي

(1) كتاب نفحة القبول لفضيلة الشيخ محمود محمد خليل الخطيب الخليفة الأول لسيدنا الشيخ الإمام ووارث علمه ومناقبه الكريمة وشارح لبعض كتبه المباركة .

صفحات مباركة علّها تفي بما يريد القارئ معرفته في مختلف جوانب حياته المباركة الروحية منها والأدبية والعلمية .

وفاته :

استمر الشيخ الإمام في نشر تعاليم الإسلام بين الناس بالقول والعمل والعطاء حتى لقي ربه عن سبعة وسبعين عاماً عشية يوم الجمعة الموافق الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٩٨٦م . وكان مثواه المبارك [1] بمسجده العامر بمدينة طنطا حيث أسس طريقته وكانت إقامته الكريمة الحافلة بكل أوجه الخير، غفر الله لشيخنا الجليل وجزاه عنا خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

(1) الضريح المبارك بمدينة طنطا بمسجد المحافظة بشارع البحر قرب مبنى المحافظة .

شكر

وإني لأشكر الشكر الجزيل للسيد الأستاذ الدكتور/ محمد أبو زيد الأمير حيث أبت همته إلا أن يقوم بالمساهمة في هذه الطبعة رغبة في الله ونشراً لهداه وحباً في مصطفاه ﷺ .

والله المسئول أن يحببنا فيه وفيمن يحبه وفيما يرضيه وأن يجعل أعمالنا خالصة لكريم وجهه وأن يمتعنا بالنظر إليه في جنات النعيم .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

غرة رمضان ١٤٢٨هـ

أغسطس ٢٠٠٧م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فيسر جمعية شاعر الرسول ﷺ أن تقدم الجزء الثاني من كتاب (القصص الحق لسيد الخلق ﷺ) وهي كما قال شيخنا ﷺ (القصة الصادقة والعظة البالغة والبلاغة المعجزة) وليس هناك أصدق من حديث المصطفى ﷺ .

وقد غاص شيخنا في أمهات كتب الحديث والتاريخ والأدب في المكتبات مدة خمسة عشر عاماً خرج علينا بأعظم ما جادت به المكتبة الإسلامية وهما كتابان لا مثيل لهما :-

الأول : وله فضل السبق فيه وهو: (إتحاف الأنام في خطب رسول الإسلام ﷺ) وهو أول كتاب من نوعه في المكتبة الإسلامية – جمع فيه شيخنا خطب المصطفى ﷺ كاملة ومشروحة ومحققة عددها ٥٧٦ خطبة تناولت كافة جوانب الإسلام عقيدة وحياة .

الثاني : هو (غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب) عم الرسول ﷺ، ولم يكن هناك ديوان يضم أشعار أبي طالب اللهم إلا القليل من الأبيات التي تناولها الأدباء والفصحاء – فإذا بشيخنا يأتي لنا بديوان كامل يضم مئات الأبيات مشروحة شرحاً أدبياً بليغاً أشاد به الأجانب في أبحاثهم.

ومن ثمرات البحث عن خطب المصطفى ﷺ خرج علينا شيخنا بكتابه الثالث – الذي بين يديك – وهو (القصص الحق لسيد الخلق ﷺ) خمسة أجزاء شرح منها فضيلة الإمام الجزء الأول والخامس و صدر الجزء الأول في حياة شيخنا المبارك تحت عنوان (الخمسون النيدية في القصص المحمدية) وباقي الأجزاء الأخرى سلكنا فيها مسلك فضيلته وسرنا فيها على منهاجه في شرح الجزء الأول والخامس وقد قام بهذا العمل الجليل **الخليفة الخطيبي المبارك الأستاذ الدكتور/ محمد أبو زيد الأمير** وكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر. فجزاه الله عنا خير الجزاء .

محمود محمد خليل الخطيب

رئيس جمعية شاعر الرسول ﷺ

١- قصة النبي ﷺ والأعرابي

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك رَضي اللَّه عَنْهما قَالَ: كُنْتُ أَمْشي مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَعَلَيْه بُرْدٌ(١) نَجْرَانيٌّ(٢) غَليظُ الْحَاشيَة(٣) فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابيٌّ(٤) فَجَذَبَهُ(٥) جَذْبَةً شَديدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَة(٦) عَاتق النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ به حَاشيَةُ الرِّدَاء(٧) منْ شدَّة جَذْبَته ثُمَّ قَالَ مُرْ

---

(١) البرد: نوع من الثياب معروف، والجمع أبراد وبرود، والبردة الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب وقال ابن بطال: البرود هي برود اليمن تصنع من قطن وهي الحبرات يشتمل بها أي يلتحف بها، كانت أشرف الثياب عندهم ألا ترى أن النبي ﷺ سجي بها حين توفي، ولو كان شيء أفضل من البرود لسجي به .

(٢) نجراني: نسبة إلى نجران وهي بلدة من اليمن سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يعرب بن قحطان.

(٣) الحاشية: الجانب يقال حاشية الثوب جانبه والجمع حواشي .

(٤) أي من أهل البادية لم يسم .

(٥) وفي رواية فجبذه جبذة شديدة والمعنى واحد .

(٦) الصفحة: الجانب- يقال صفح الشيء وصفحته: جهته وجانبه- قال القسطلاني قوله "إلى صفحة عاتق النبي ﷺ " أي إلى ناحية عاتقه الشريف وهو ما بين المنكب والعنق .

(٧) وفي رواية "حتى انشق البرد وذهبت حاشيته في عنقه" قال العيني وزاد "أن ذلك وقع من الأعرابي لما وصل النبي ﷺ إلى حجرته" والتوفيق بين الروايتين بأنه لقيه خارج المسجد فأدركه لما كاد يدخل فكلمه وأمسك بثوبه لما دخل المسجد، فلما كاد يدخل الحجرة خشي أن يفوته فجذبه .

لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ[1] ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ" [2] .

(١) وفي رواية فتبسم ﷺ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب فرض الخمس– باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم – حديث رقم ٣١٤٩.

ويستفاد من القصة: ١– بيان حلمه ﷺ ٢– صبره ﷺ على الأذى في النفس والمال ٣– التجاوز عن جفاء من يريد تأليفه على الإسلام ٤– التأسي به ﷺ في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن.

وفي ديوان الرباعيات يقول شيخنا الخطيب ﷺ :

زرعت الـود في كـل القلـوب	**بما أولاك علام الغيوب**
من الآداب والكرم العجيب	**ومن حلم وعلم واحتشام**

****

ضربت بسيف صفحك من أساءوا	**فولى من قلوبهم العداء**
وحل محله فيها الصفاء	**فكلهمو فدى لك أوفياء**

****

كم أعان الكَلَّ أعطى من حرم	**كم لمن آذاه أولى من نعم**
كم عفا عن قدرة عمن ظلم	**كم على ما ناب من حقٍّ يعين**

****

آخذُ العفو آمرُ العرف عافٍ	**يبتغي الله عن أذى الجهال**

٢- مخاصمة(*) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِه حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِه(١) فَقَالَ النَّبِـيُّ(٢) صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ(٣) فَقَدْ غَامَرَ(٤). فَسَلَّمَ(٥) ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ(٦) فَأَسْرَعْتُ إِلَيْه ثُمَّ نَدِمْتُ(٧) فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي(٨) فَأَبَى عَلَيَّ(٩) فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ. فَقَالَ(١٠): يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاثًا(١١). ثُـمَّ إِنَّ

(*) الخصومة لها معاني منها الجدل، والمنازعة، قال الزبيدي: قيل للخصمين خصمان لأخذ كل منهما في شق من الحجاج والدعوة، وعرفها الغزالي: لجاج في الكلام يستوفي به ملك أو حق مقصود ، وعرفها السرخسي بأنها: اسم لكلام يجري بين اثنين على سبيل المنازعة والمشاجرة.

(١) أي أظهر عن ركبته .

(٢) أي لما رآه.

(٣) يعني أبا بكر- ولأبي ذر عند الكشميهني: صاحبك بالأفراد يخاطب أبا الدرداء.

(٤) غامر: أي خاصم ولابس الخصومة، والمعنى دخل في غمرة الخصومة الغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره.

(٥) أي أبو بكر ألقى السلام على النبي ﷺ ومن معه في المجلس ..

(٦) وفي رواية محاورة أي مراجعة، وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلي معاتبة.

(٧) أي على ما كان مني.

(٨) أي ما وقع مني وفي رواية (أن يستغفر لي فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهي).

(٩) وفي حديث أبي أمامة (فاعتذر أبو بكر لعمر فلم يقبل منه).

(١٠) أي النبي ﷺ .

(١١) أي أعاد النبي ﷺ هذه الكلمات يغفر الله لك ثلاث مرات.

عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ[١] أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا : لا. فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ [٢] - فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ[٣] حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ[٤] فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه: وَاللَّه أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ. مَرَّتَيْنِ[٥] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي[٦] بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي[٧]

---

(١) أي أهنا أبو بكر ؟ .

(٢) أي عمر سلم على النبي ﷺ ومن معه في المجلس.

(٣) يتمعَّر: بالعين المشددة أي تذهب نضارته من الغضب، وأصله من العر وهو الجرب يقال أمعر المكان إذا أجرب، وفي بعض النسخ يتمغر بالغين أي يحمر من الغضب، وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلي في نحو هذه القصة (فجلس عمر فأعرض عنه أي النبي ﷺ ثم تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه، ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه فقال يا رسول الله ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني، فما خير حياتي وأنت معرض عني ؟ فقال أنت الذي أعتذر لك أبو بكر فلم تقبل منه) ووقع في حديث أبن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة "يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل فقال: والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له وما خلق الله من أحد أحب إليّ منه بعدك فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك" .

(٤) زاد محمد بن المبارك "أن يكون من رسول الله ﷺ إلى عمر ما يكره".

(٥) قال الكرماني مرتين ظرف لقال أو لكنت، وإنما قال ذلك أبو بكر لأنه الذي بدأ.

(٦) ولأبي ذر واساني، وفي نسخة آساني بهمزة بدل الواو والأول أوجه لأنه من المواساة.

(٧) بإضافة تاركو إلى صاحبي، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيما للصِّدِّيق، ونظيره قراءة ابن عامر "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم" (الأنعام ١٣٧) بنصب أولادهم وخفض شركائهم، وفصل بين المضافين بالمفعول .

(مَرَّتَيْنِ)[1] فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا[2] . رواه البخاري [3] .

(١) أي قال ﷺ هل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين.

(٢) أي بعد هذه القصة لما أظهره النبي ﷺ من تعظيمه.

(٣) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة- باب فضل أبي بكر حديث رقم ٣٦٦١ .

وفي الحديث من الفوائد: ١- فضل أبي بكر ٢- أن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه. ٣- جواز مدح المرء في وجهه ومحله إذا أمن عليه من الافتتان والاغترار. ٤- ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى لكن الفاضل في الدين يسرع الرجوع إلى الأولى كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ** ﴾ . (الأعراف ٢٠١).

٥- أن غير النبي ﷺ ولو بلغ في الفضل الغاية ليس بمعصوم. ٦- استحباب سؤال الاستغفار والتحلل من المظلوم. ٧- أن من غضب على صاحبه نسبه إلى أبيه أو جده و لم يسمه باسمه وأخذ ذلك من قول أبي بكر لما جاء وهو غضبان من عمر "كان بيني وبين ابن الخطاب" فلم يذكره باسمه.

وتحت عنوان الصديق والصدق يقول شيخنا الخطيب في ديوانه (وحي الحديث)

واحفظ صديقك إنه لك عدة ... وبه يكون إلى العلا مرقاكا

ويشد أزرك عند كل شديدة ... وإذا افتقرت لماله واساكا

وعن الذي فيه الضلال نهاكا ... وبفعل ما فيه الهدى أغراكا

وإذا الزمان بصرفه أقذاكا [1] ... بجميع ما يستطيعه قذاكا [2]

وإذا ابتغى ما دون دينك فاسمحن ... عجلا وأبد له بذاك رضاكا

واشكر له إحسانه ، وانصح له ... متلطفا واصدق عليه ثناكا

(١) أقذاك : آذاك .

(٢) قذاك : أزال عنك القذى أي الأذى .

وتـــوددن إليـــه ، واكـــتم ســـره ... واقبل معاذره ، وأبد وفاكا [(١)]

وتـــراه في يـــوم المعـــاد معاديـــا ... ما لم تكـــن متمســـكاً بتقاكـــا

وتظـــل في ظـــل الإلـــه منعمـــا ... في جنب من في الله كان هواكا

عبثاً تحاول أن ترى لـــك مخلصـــاً ... من غير إخلاص عليـــه يراكـــا

والصدق قله ولو رأيت غضاضـــة ... في قوله فالمين فيـــه رَداكـــا [(٢)]

ينجيـــك في الـــدارين صـــدقك ... والكذب يحبط فيهما مســـعاكا

(١) أبد وفاكا : أظهر وفاءك .

(٢) المين : هو الكذب .

٣- الأنصاري وزوجه والضيف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ[١] صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِه فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلا الْمَاءُ[٢] فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا[٣] ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا فَانْطَلَقَ بِه إِلَى امْرَأَتِه فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ[٤]

---

(١) زاد في رواية جرير عن فضيل بن غزوان فقال يا رسول الله "إني مجهود".

(٢) أي ما عندنا إلا الماء، ومرادهنَّ ما عندنا من جنس ما يطعم من الأشياء إلا الماء.

(٣) أي من يَضُمُّهُ إليه في طعامه، أو من يؤوي هذا فيضيفه .

(٤) المعنى أن رجلا جاء يشتكي إلى النبي ﷺ ما يعانيه من الجوع الشديد فقال يا رسول الله أصابني الجهد أي غلب عليّ الجوع حتى أضناني وبذلت جهدي في احتماله حتى نفد صبري و لم تعد لدي قدرة ولا طاقة على تحمله فأراد النبي ﷺ أن يستضيفه فلم يجد في بيته ﷺ إلا الماء فعرض على أصحابه أن يضمه أحدهم إليه في طعامه فاستضافه رجل من الأنصار وذهب به وقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . قال شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي: فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة وعلى هذا فالمرأة أم سليم والأولاد أنس وأخوته. ولكن استبعد الخطيب أن يكون أبو طلحة هذا هو زيد بن سهل عم أنس بن مالك وزوج أمه، فقال هو رجل من الأنصار لم يعرف اسمه ، ووجهه أن هذا الرجل المضيف ظهر من حاله أنه كان قليل ذات اليد فإنه لم يجد ما يضيف به إلا قوت أولاده وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصاري المدينة مالا، وقيل هو ثابت بن قيس، وقيل عبد الله بن رواحة .

فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ صِبْيَانِي[١] فَقَالَ: هَيِّئِـي طَعَامَـكِ وَأَصْـبِحِي[٢] سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ[٣] إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّـأَتْ طَعَامَهَـا وَأَصْـبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ[٤] فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا[٥] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ[٦] مِنْ فَعَالِكُمَـا[٧] فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ

(١) نسب العشاء إلى الصبية لأنهم إليه أشد طلبا، ويحتمل أن يكون هو وامرأته تعشيا وكان صبيانهم حينئذ في شغلهم أو نياما، فأخروا ما يكفيهم، والـراجح الأول لقوله في أخر الحديث فباتا طاويين، قال ابن علان : يراد بقولها "قوت صبياني" أي ما يعتادون الاقتيات به على عادتهم من الولوع بالطعام من غير حاجة ماسة إليه فيكون فيه مجاز.

(٢) أي أوقديه.

(٣) وفي رواية لمسلم "علليهم بشيء" قال النووي: هو محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للأكل، وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضـر إذ لـو كانوا بتلك الحال بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبـا مقـدماً علـى الضيافة، وقد أثنى الله عليه وعلى امرأته فدل على أنهما لم يتركا واجباً بل أحسـنا وأجملا.

(٤) أي بغير عشاء وأكل الضيف.

(٥) جواب "لما" قوله غدا ضمن فيه معنى الإقبال ، أي لما دخل الصباح أقبل علـى رسول الله ﷺ.

(٦) نسبة الضحك والتعجب إلى الباري جل وعلا مجازيَّة، والمـراد بهمـا الرضـى بصنيعهما.

(٧) الفعال: اسم للفعل الحسن كالجود والكرم، وقد يستعمل في القبيح .

(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[١] وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[٢]) (الحشر: ٩) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري[٣].

---

(١) الخصاصة الجوع والضعف وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء والجملة في موضع الحال، والمعنى يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وفقر، وذلك غاية الإيثار. قال شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءُون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

(٢) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح، والشح هو البخل الشديد مع حرص، وإضافة إلى النفس لأنه غريزة فيها، جاء في شرح مسلم للنووي: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع منه، وقيل البخل مع حرص، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل البخل بالأموال خاصة والشح بالمال والمعروف، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده .

(٣) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ح رقم ٣٧٩٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة باب إكرام الضيف .

ويستفاد من القصة: ١- ما كان عليه الأنصار رضوان الله عليهم من الجود والسخاء وإكرام الضيف وإيثاره على أنفسهم وأولادهم في حالة الضيق والشدة والفقر وبذل كل ما يملكونه لإخوانهم المسلمين.

٢ — أن من أعظم البر البذل والعطاء في حال الفقر وضيق ذات اليد.

٣ — نفوذ فعل الأب في الابن الصغير وإن كان منطويا على ضرر خفيف، إذا كان في ذلك مصلحة دينية أو دنيوية، وأن القول فيه قول الأب والفعل فعله، لأنهم نوموا الصبيان بأمره جياعاً إيثاراً لقضاء حق رسول الله ﷺ في إجابة دعوته والقيام بحق ضيفه .

وتحت عنوان المعروف وآثاره يقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث:

ممن يُظَلُّ بظلـه إن كنت مَـن	جَهلتْ يَسَارك ما أتت يمناكـا
أنْظر إلى الإيسار صاحبَ عُسْـرَة	إن رمت تيسيراً إلى يسـراكا
ما دمت معواناً لصـاحب خَلَّـة	بمزيـد روح الله يـا بشـراكا
وبمقته أبشـر إذا كنت الـذي	لمَن استعانك لا يبض صفاكا [1]
يا مسديَ المعروف عمـم باغيـاً	وجه الـذي إسـداءَه أولاكـا
لا تـبغين بـه مطيـق جزائـه	ما ضاع ما استودعته مولاكـا
لا تبخلن علـى أخيـك بعونـه	فالله عونك مـا أعنت أخاكـا
يَأْبى الكريم علـى الجميـل يجيئـه	عوضاً ولسـتُ إخالـه إلاكـا
صغِّره لا تمـنن بـه واسـتعظمن	مسـدى إليـه كأنـه أسـداكا
نمـه تسـتثمره أيـة بقعـة	قد أثمـرت لم تولهـا سـقياكا؟
ما دمت تنوي الخير تعطى أجـره	حـتى ولـو لم تستطعه يـداكا

(١) لا يبض صفاك : الصفا الحجارة ، ويبض : يسيل منه الماء قليلاً كالعرق — والمعنى لا ينال خيره . وهو إشارة إلى المثل (فلان ما يبض حجره) .

٤- هجرة النبي ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – إلى المدينة

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنها قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ[١] وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً[٢] فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ[٣] خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ[٤] حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ[٥] لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ[٦] وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ[٧] فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ

---

(١) يعني أن أبويها أسلما قديما وهي لا زالت صغيرة جداً حتى أنها لا تذكر وقت إسلامها لأنها منذ أن فتحت عينيها وعرفت أبويها وجدتهما يدينان بدين الإسلام.

(٢) البكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس، والعشية ما بعد الزوال أي ما بعد الظهر إلى غروب الشمس.

(٣) أي بأذى الكفار من قريش بحصرهم بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب، وإذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة.

(٤) أي خرج ليلحق من سبقه من المسلمين ممن هاجر إليها.

(٥) اسم موضع على خمسة أميال من مكة إلى جهة اليمن .

(٦) بفتح الدال وكسر الغين وتشديد النون، وقرئ ابن الدغنه بضم الدال والغين وتشديد النون، وهو اسم أمه، وقيل اسم أم أبيه، ومعنى الدغنه: المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر، واختلف في اسمه فعند البلازري من طريق الواقدي أنه الحارث بن يزيد، وحكي السهيلي أن اسمه مالك، ووقع في شرح الكرماني أن ابن اسحاق سماه ربيعة بن رفيع وهو وهم من الكرماني فأن ربيعة المذكور يقال له ابن الدغنة أيضا.

(٧) أي رئيس قبيلة القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي(١) فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ(٢) فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَّةِ فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ وَلا يُخْرَجُ(٣) إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ(٤) وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ(٥) وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ(٦) فَأَنَا لَكَ جَارٌ(٧) ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَّةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَّةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ(٨) رَجُلا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ

---

(١) تسببوا في إخراجي.

(٢) ربما طوي أبو بكر عن ابن الدغنة تعيين جهة مقصده لكونه كان كافراً وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق الذي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زمانا فيصدق أنه سائح لكن حقيقة السياحة ألا يقصد موضع بعينه يستقر فيه.

(٣) أي لا يخرج من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدي لأهل بلده ، ولا يخرج بضم أوله أي لا يخرجه أحد بغير اختياره، واستنبط بعض المالكية من هذا أن من كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة.

(٤) أي تعطى الناس مما لا يجدونه عند غيرك .

(٥) بفتح الكاف أي تُعين العاجز الضعيف الذي لا يستقر بأمره.

(٦) أي وتقف عند الحوادث والنوازل إلى جانب الحق فتنصر المظلوم، وتضرب على يد الظالم، وهذا يدل على اشتهار أبي بكر ﷺ بالصفات البالغة أنواع الكمال.

(٧) أي يجير لك أضعك في حمايتي وأدفع عنك وأمنع من يؤذيك.

(٨) استفهام إنكاري.

ابْنِ الدَّغنَّة[١] وَقَالُوا لابْنِ الدَّغنَّة مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِه فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلا يَسْتَعْلِنْ بِه[٢] فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغنَّة لأَبِي بَكْرٍ فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِه وَلا يَسْتَعْلِنُ بِصَلاتِه وَلا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِه ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِه وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ[٣] وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلا بَكَّاءً[٤] لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ- وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغنَّة فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِه[٥] فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِه فَأَعْلَنَ بِالصَّلاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ- فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِه فَعَلَ. وَإِنْ أَبَى إِلا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ[٦] فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ[٧] وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِي بَكْرٍ

---

(١) أي لم ترد عليه قوله في جوار أبي بكر ﷺ فأطلق التكذيب وأراد لازمه لأن كل من كذبك فقد رد قولك .

(٢) بل يخفيه ولا يجاهر بعبادته لئلا يفتن النساء والصبيان عن دينهم.

(٣) أي يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم ويتدافعون حتى يتساقطون عليه .

(٤) أي كثير البكاء .

(٥) أي إنا كنا قبلنا جوارك لأبي بكر والتزمنا به، وحافظنا عليه على شرط أن يعبد ربه سراً ولا يجاهر بعبادته وقد جاوز ذلك.

(٦) أي فأطلب منه أن يرد إليك أمانك وحمايتك .

(٧) بضم النون وسكون الخاء وكسر الفاء من الإخفار أي ننقض عهدك وننتهك حرمة الجوار الذي بيننا وبينك.

الاسْتِعْلانَ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَّةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١). وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ(٢) فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِلْمُسْلِمِينَ إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ(٣). فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ(٤) وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ(٥) فَقَالَ لَهُ

---

(١) أي بحمايته وأمانه وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين وقوة يقين أبي بكر ﷺ.

(٢) جملة حالية.

(٣) تثنية حرة وهي أرض حجارتها سود ، ولا يعارض هذا رواية أبي موسى عن النبي ﷺ رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخيل فذهب وهلي أي ظني إلى أنها اليمامة ، أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب قال ابن التين: كان النبي ﷺ أرى الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت .

(٤) أي أنهم لما سمعوا باستيطان المسلمين في المدينة رجعوا إلى مكة فهاجر إلى أرض المدينة معظمهم لا جميعهم لأن جعفر ومن معه تخلفوا في الحبشة وهذا السبب في مجيء مهاجرة الحبشة غير السبب المذكور في مجيء من رجع منهم أيضا في الهجرة الأولى لأن ذاك كان بسبب سجود المشركين مع النبي ﷺ والمسلمين في سورة النجم فشاع أن المشركين أسلموا وسجدوا فرجع من رجع من الحبشة فوجدوهم أشد مما كانوا.

(٥) قِبَل بكسر القاف وفتح الباء أي جهة المدينة والمعنى أراد الخروج طالباً للهجرة، وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند ابن حبان "استأذن أبوبكر النبي ﷺ في الخروج من مكة فقال ﷺ : اصبر ".

رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ[١] فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ- فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ[٢] عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ[٣] وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[٤] قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا[٥] فِي سَاعَة لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّه مَا جَاءَ بِه فِي هَذِه السَّاعَة إِلا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ[٦] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ نَعَمْ[٧]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا

---

(١) بكسر أوله أي على مهلك . والرِّسْلُ: السير الرفيق. وعند ابن حبان قال: اصبر.

(٢) أي منعها من الهجرة وفي رواية ابن حبان فانتظره أبو بكر ﷺ ..

(٣) السَّمُر بفتح السين وضم الميم شجر الطلح وقيل كل ماله ظل ثخين والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر .

(٤) الظهيرة: أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار والغالب في أيام الحر القيلولة فيها.

(٥) التقنع عبارة عن: تغطية الرأس وأكثر الوجه برداء فوق العمامة أو تحتها للوقاية من حر أو برد أو دهن ونحو ذلك.

(٦) أي إلى المدينة.

(٧) زاد ابن اسحاق في روايته "قالت عائشة فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح.

رَسُولَ اللَّه إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَيْـه وَسَلَّمَ: بِالثَّمَنِ[١] قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ[٢] وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُـفْرَةً فِـي جِرَابٍ[٣] فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِه عَلَى فَـمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[٤] قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ[٥] فَكَمَنَا[٦] فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُاللَّه بْنُ

---

(١) زاد ابن اسحاق "قال لا أركب بعيراً ليس هو لي، قال فهو لك. قـال: لا ولكـن بالثمن الذي ابتعتها به" وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة وأن التي أخذها رسـول الله ﷺ من أبي بكر هي القصواء وأنها كانت من نعم بني قشير وأنها عاشت بعد الـنبي ﷺ قليلا وماتت في خلافة أبي بكر، وكانت ترعى بالبقيع.

(٢) أحث: أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع أي فجهزناهما بأسرع جهاز ممكن لأن الوقت كان ضيقاً.

(٣) أي زادًا في جراب لأن أصل السفرة في اللغة الزاد الـذي يصـنع للمسـافر ثم استعمل في وعاء الزاد فاستعملت السفرة في هذا الخبر على أصل اللغة، وأفـاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة.

(٤) النطاق: ما يشد به الوسط، وقيل هو إزار فيه تكة، وقيل هو ثوب تلبسه المـرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل، وعند ابن سعد: فأوكأت بقطعـة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي، فسميت ذات النطاقين.

(٥) قال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه ﷺ كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كـان يوم الاثنين، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال: إنه خـرج مـن مكـة يـوم الخميس. قال ابن حجر: ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يـوم الخمـيس، وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال، فهي ليلـة الجمعـة، وليلة السبت، وليلة الأحد، وخرج في أثناء ليلة الاثنين.

(٦) أي اختفيا.

محمد خليل الخطيب النيدي

أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ[١] لَقِنٌ[٢] فَيُدْلِجُ[٣] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلا وَعَاهُ[٤] حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[٥] مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[٦]- وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٧]- حَتَّى يَنْعِقَ[٨] بِهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٩]. يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثِ. وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ[١٠] هَادِيًا

---

(١) أي حاذق.

(٢) سريع الفهم.

(٣) أي يخرج بسحر إلى مكة.

(٤) أي حفظه.

(٥) المنحة: الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء.

(٦) الرسل: اللبن الطري.

(٧) الرضيف: اللبن المرضوف أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته.

(٨) أي يصيح بغنمه والنعيق صوت الراعي إذا زجر الغنم .

(٩) الغلس: ظلام أخر الليل.

(١٠) أي: ابن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ويقال من بني عدي بن عمرو بن كنانة بن خزاعة، ووقع في سيرة ابن اسحاق: أن اسمه عبد الله ابن أرقد وهو دليل رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة، وورد عند موسى بن عقبة أريقط وهو أشهر.

خرِّيتًا[١] " وَالْخرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ" قَدْ غَمَسَ حِلْفًا[٢] فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمنَاهُ[٣] فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ ابْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ[٤]. قَالَ سُرَاقَةُ بْنَ جُعْشُمٍ المدلجي ﷺ جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا[٥] مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ. فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً[٦] بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا

---

(١) سمي خرِّيتاً لأنه يهدي بمثل خرت الإبرة أي ثقبها، وقيل له ذلك لأنه يهتدي لأخرات المفازة وهي طرقها الخفية.

(٢) أي كان حليفاً لهم وأخذ بنصيب من عقدهم ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم في دسم أو خلوق أو شيء يكون فيه تلويث تأكيداً للحلف.

(٣) إئتمناه.

(٤) وفي رواية موسى بن عقبة "فأجاز بهما أسفل مكة ثم مضي بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل عسفان ، ثم أجاز بهما حتى عارض الطريق.

(٥) أي مائة من الإبل وعند الطبراني في حديث أسماء بنت أبي بكر" وخرجت قريش حين فقدوهما في بغائهما، وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة، وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذي فيه رسول الله ﷺ فقال أبو بكر يا رسول الله أن هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال رسول الله ﷺ : كلا إن ملائكة تسترنا بأجنحتها، فجلس الرجل يبول في مواجهة الغار، فقال النبي ﷺ : لو كان يرانا ما فعل هذا "

(٦) آنفا : أي في هذه الساعة، أسودة: أشخاصا.

وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلانًا وَفُلانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ[١] فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ[٢] الأَرْضَ وَخَفَضْتُ[٣] عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ[٤] بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ[٥] عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي[٦] فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلامَ[٧] فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ[٨] فَرَكِبْتُ فَرَسِي "وَعَصَيْتُ الأَزْلامَ" تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الالْتِفَاتَ سَاخَتْ[٩] يَدَا

---

(١) أكمة: رابية مرتفعة.

(٢) الزج بضم الزاي: الحديدة التي في أسفل الرمح .

(٣) أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه فينذر به وينكشف أمره لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشاركوه في الجعالة.

(٤) التقريب: سيردون العدو وفوق العادة، وقال الأصمعي : التقريب أن ترفع يديها معاً.

(٥) سقطت عنها.

(٦) الكنانة: الخرطة المستطيلة وهي كيس السهام.

(٧) الأزلام: جمع زلم وهي عبارة عن أقداح ثلاثة على أحدها مكتوب أفعل، وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد ، والاستقسام مأخوذ من القسم من هذه الأزلام، قال ابن عباس: الأزلام قداح كانوا يستقسمون بها الأمور.

(٨) أي لا تضرهم.

(٩) أي غاصت.

فَرَسِي فِي الأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[1] سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2] فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلانِي إِلا أَنْ قَالَ أَخْفِ[3] عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ[4] فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[5] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ[6] مِنَ الشَّامِ فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ[7] وَسَمِعَ

---

(١) العثان: بضم العين وفتح الثاء : الغبار.

(٢) أي تيقنت بعد ما منعت من الظفر بهم أن محمداً ﷺ رسول الله حقاً، وأن دينه سيعلو.

(٣) أخف: أمر من الإخفاء وفي رواية "أنه قال يا نبي الله مرني بما شئت قال: فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا، فكان سراقة أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان أخر النهار مسلحة له أي يدفع عنه الأذى بمثابة السلاح .

(٤) أي كتاب موادعة يؤمنني فيه حتى إذا التقيت بالمسلمين في المدينة أو غيرها لا يتعرض لي أحد منهم بسوء.

(٥) الأديم: الجلد المدبوغ.

(٦) قافلين: أي راجعين .

(٧) من إضافة الموصوف إلى الصفة وقيل الذي كساهما هو طلحة بن عبيد الله، وجمع بينهما بأن كل من الزبير وطلحة وقع منه أنه كساهما.

الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَكَـانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًـا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ(١) مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ(٢) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَـوْتِهِ يَـا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ(٣) الَّذِي تَنْتَظِرُونَ فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَـى السِّـلاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْـيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ(٤) وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَـهْرِ رَبِيـعٍ الأَوَّلِ– فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَـامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ(٥) حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَبُـو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ

---

(١) الأطم بالضم: بناء مرتفع وجمعه آطام.

(٢) عليهم الثياب البيض.

(٣) جدكم بفتح الجيم وتشديد الدال: أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون وتنتظرون السعادة بمجيئه.

(٤) أي ابن مالك بن الأوس بن حارثة ومنازلهم بقباء وهي على فرسخ من المدينة.

(٥) أي يسلم عليه، قال ابن التين: إنما كانوا يفعلون ذلك بأبي بكر لكثـرة تـردده إليهم في التجارة إلى الشام فكانوا يعرفونه، وأما النبي ﷺ فلم يأتها بعد أن كبر، لكن قال ابن حجر: وظاهر السياق يقتضي أن الذي يحيي ممن لا يعرف النبي ﷺ يظنه أبا بكر فلذلك يبدأ بالسلام عليه ويدل عليه قوله في الحديث "فأقبل أبـو بكر يظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ .

ذَلِكَ - فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ[(١)] عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى[(٢)] وَصَلَّى فِيهِ

---

(١) البضع: عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع وهو الأشهر ، وقيل إلى العشر، وقيل من واحد إلى تسعة، وقيل من اثنين إلى عشرة.

(٢) قال الحكم بن عيينة: لما قدم النبي ﷺ فنزل بقباء قال عمار بن ياسر: مالرسول ﷺ بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبني مسجد قباء فهو أول مسجد بني يعني في المدينة، قال بن حجر: وهو في التحقيق أول مسجد صلى النبي ﷺ فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، واختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ١٠٨ التوبة، فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا وهو الظاهر من الآية، وروي مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: "هو مسجدكم هذا" ، وأخرج أحمد والترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد " أختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبي ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن ذلك ، فقال: هو هذا وفي ذلك - يعني مسجد قباء - خير كثير." قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن تكون الميزة لما اتفق من طول إقامته ﷺ بمسجد المدينة بخلاف مسجد قباء فما أقام به إلا أياماً قلائل وكفى بهذه ميزة.

والحق أن كلا منهما أسس على التقوى وقوله تعالى في بقية الآية ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ يؤيد كون المراد مسجد قباء، وعند أبي داود باسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: نزلت ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ في أهل قباء، وعلى هذا فالسر في جوابه ﷺ بأن المسجد الذي أسس على التقوى مسجد المدينة رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء.

قال الداودي: ليس هذا اختلافاً لأن كلا منهما أسس على التقوى، وهو قول جماعة منهم السهيلي وزاد غيره: أن قوله تعالى﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ يقتضي أنه مسجد قباء لأن تأسيسه كان أول يوم حل النبي ﷺ بدار الهجرة.

رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحلَتَهُ فَسَارَ يَمْشي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عنْدَ مَسْجد الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بالْمَدينَة وَهُوَ يُصَلِّي فيه يَوْمَئذ رِجَالٌ منَ الْمُسْلمينَ وَكَانَ مرْبَدًا[١] للتَّمْر لسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ[٢] غُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ في حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ[٣] فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَ بَرَكَتْ به رَاحلَتُهُ هَذَا إنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ الْغُلامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا[٤] بالْمرْبَد ليَتَّخذَهُ مَسْجدًا فَقَالا لا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّه فَأَبَى رَسُولُ اللَّه أَنْ يَقْبَلَهُ منْهُمَا هبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ منْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجدًا وَطَفقَ رَسُولُ اللَّه ﷺ

---

(١) المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر، قال الأصمعي: كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم، وبه سمي مربد البصرة لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) ابني رافع بن عمرو.

(٣) قال ابن حجر: كان أسعد من السابقين إلى الإسلام من الأنصار، ويُكنَّى أبا أمامة، وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه، ووقع في مراسيل ابن سيرين عند أبي عبيد أهما كانا في حجر معاذ بن عفراء، وحكي الزبير أهما كانا في حجر أبي أيوب، وقد يجمع باشتراكهما أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحداً بعد واحد.

(٤) أي فساوم وصيهما في شراء ذلك المربد كما في رواية ابن عيينة حيث قال فكلم عمهما أن يبتاعه منهما وذكر ابن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يعطيهما ثمنه، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ "قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله" ولا منافاة بينهما، فيجمع بأنهم لما قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عمن يختص بملكه منهم فعينوا له الغلامين فابتاعه منهما فحينئذ يحتمل أن يكون الذين قالوا له لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن، وعند ابن الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه.

يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ[(١)] فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ :

هَذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَـذَا أَبَـرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَـرْ[(٢)]

وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ[(٣)].

رواه البخاري[(٤)] .

---

(١) اللبن : أي الطوب المعمول الذي لم يحترق.

(٢) أي هذا المحمول من اللبن في بناء المسجد عند الله أبقى ذخرا وأكثر وأدوم منفعة وأشد طهارة من حمال خيبر التي يحمل منها التمر والزبيب لما ينال به من نعـيم الآخرة الذي لا يزول.

(٣) أي الأجر الحقيقي هو الأجر الأخروي ثم دعا ﷺ في آخر حديثه للمهـاجرين والأنصار بالرحمة والمغفرة.

(٤) صحيح البخاري باب هجرة النبي ﷺ حديث رقم ٣٩٠٥ ، ٣٩٠٦ .

ويستفاد من القصة : ١- الأخذ بالأسباب ثم تفويض الأمـر إلى الله سـبحانه وتعالى ٢- الثقة بالله عز وجل ٣- أن الهجرة كانت مخططة ومنظمة بأمر الهي وتدبير سماوي ٤- أن الهجرة كانت صعبة ومحفوفة بالمخـاطر ٥- أن الهجـرة كانت فاتحة نصر للنبي ﷺ ومبدأ لاعزاز الأمة.

٦- معجزة الرسول ﷺ الظاهرة مع سراقة بن جعشم بن مالك عندما لحق بـه ﷺ فساخت قدما فرسه مرتين .

٧- الحفاوة البالغة التي قوبل بها النبي ﷺ من أهل المدينة

٨- جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز في الحرب والتعاون على سـائر الأعمال الشاقة لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحريكها على معالجـة الأمور الصعبة. والله الموفق.

وتحت عنوان نشيد الإسلام باب الهجرة يقول شيخنا الخطيب في ديوانه الرباعيات:

والذي قـد حـرم البيـت الحـرام إن إيـذاءك يـا طـه حـرام
ما لهم راموا حرامـا[١] في حـرام[٢] وابتغـوا مـوت حيـاة العـالمين؟

****

ما دهـا مَـنْ مكـرُهم أن يثبتـوك أو تـذوق القتـل أو أن يخرجـوك
سكرت أبصـارهم لـن يبصـروك خارجـاً والله خـير المـاكرين[٣]

****

في منـام المصـطفى نـام الإمـام يفتـدي بـالنفس مصـباح الأنـام
وسـرى المختـار يرمـي بالرغـام فـوق هامـات الأولى لا يعقلـون[٤]

****

سار والصديق مـن للكـون غـار واختفـى البـدران في ثـور بغـار
واقتفى الآثـار مـن للكفـر ثـار يبتغـي فـيمن حمـى الله المنـون[٥]

(١) إيذاءه

(٢) مكة.

(٣) دها : أصاب ، ومكر : خديعة ، ويثبتوك : يوثقوك ويحبسوك – وسكرت: حبست عن النظر – وحيرت ، وخير الماكرين : المجازين على المكر

(٤) الإمام علي ﷺ – وسرى: سار ليلاً ، والرغام : التراب ، والهامات: الرؤوس جمع هامة . وتجمع على هام أيضاً.

(٥) غار : تاج ، ثور : جبل بمكة ، وغار : كهف ، واقتفى : قص ، وثار: هاج ، وفي نسخة غار من الغيرة ، وقد خرج من مكة هلال ربيع الأول يوم الخميس ، وأقام في الغار ثلاث ليال (الجمعة والسبت والأحد) وخرج منه في أثناء ليلة الاثنين . ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول : وقد حسب المرحوم محمود باشا الفلكي حساباً دقيقاً فوجد أن ذلك يوم الاثنين (٨ ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية).

حينما صــاروا لبــاب الغــار جــار أخطأوا المرمــى. وكــل عنــه جــار
كيف يؤذي من لــه مــولاه جــار وبــه كونيــه لا شــك يــزين[(١)]

****

لم يُشَــيَّع مِــن جفـــاء بـــوداع أشــرف الكــونين بــل أكــرم داع
أي بــدر مـــن ثنيـــات الـــوداع شـــامه أنصـــاره مســـتقبلين[(٢)]

****

كم تغنــوا إذ رأوا شمــس الفــلاح أشــرقت منــها ربــاهم والبطـــاح
طابة طابت كمــا طابــت صــلاح حينما شــرفت يــا خــير أمــين[(٣)]

****

ما ســرور العيــد وافي في الســرور أو كثير الخـير مــن بعــد الشــرور
أو فقــير فجــأة ، نــال الــدثور أو عقـــيم بشـــروه بـــالبنين[(٤)]؟

****

أو عظـيم الخــوف وافــاه الأمــان أو عميـــد والـــذي يهـــواه دان
أو صدى قفر رأى عــذب الجنــان من سرور الــدار بــالنور المــبين[(٥)]؟

(١) جار: جيران ، وكل عنه جار : عدل وفي نسخة وكل فيه حار . من الحـيرة ، وجار مجاور بالمعونة دائما .

(٢) ثنيات الوداع بالمدينة : قال في القاموس وثنية الوداع بالمدينة سميت لأن من سافر إلى مكة كان يودع هناك ويشيع إليها . وشامه : نظره .

(٣) الربى : الأمكنة المرتفعة واحدها ربوة مفتوحة الراء إلا أن الضم أفصح ، والبطـاح : الأمكنة المنبسطة واحدها بطيحة . طابة : المدينة ، وصلاح : مكة

(٤) الدثور : جمع دثر المال الكثير .

(٥) العميد : الذي هده العشق . وصدى قفر : عطش صحراء ، والدار: المدينة.

إنهـــم والله أعيـــان العيـــون أنزلـــوا الإنســـان إنســـان العيـــون
وعليـــه لم يضـــنوا بـــالعيون ولـــه بـــالروح منـــهم يفتـــدون[١]

****

أهل هذا الحـــي هـــم أنبـــل حـــي شاطروا من هـــاجروا في كـــل شـــي
بـــل علـــيهم أســـبغوا أســـبغ في ومـــع الفقـــر علـــيهم يـــؤثرون[٢]

****

عاهـــدوا المختـــار في بكـــة أن يـــدفعوا عنـــه خفـــاءً وعلـــن
فهمـــوا مـــن ضـــده أقـــوى جـــنن وبما أعطـــوه مـــن عهـــد يفـــون[٣]

****

كـــم أحســـوا ناصـــريه مؤلمـــات حال حد العمـــر منـــها عـــن ممـــات
بل كثير مـــن أذى الأعـــداء مـــات ولـــــدى الله بخلـــــد يرزقـــــون

****

لو درى من أخرجوه مـــن صـــلاح ما الذي قد أحرموهـــا مـــن صـــلاح
فيـــه للـــدين وللـــدنيا فـــلاح لاســـتقلوا أن يعـــوه في العيـــون[٤]

****

فيك يـــا هجـــرة مفتـــاح الوجـــود راحـــة الحـــب وإتعـــاب اللـــدود
وهبوب الريح مـــن بعـــد الركـــود ومصفى الشهد من بعـــد الـــوزين[٥]

(١) أعيان العيون : سادات السادات ، والإنسان: الرسول وإنسان العيـــون : موضـــع أبصارها ، ويضنوا بالفتح والكسر والفتح أفصح : يبخلوا والعيون: الأموال.

(٢) الحي : القبيلة ، وشاطروا : قاسموا . واسبغوا : أتموا ، وفي : ظـــل وغنيمـــة ، والمراد : النعمة ، ويؤثرون : يقدمون .

(٣) جنن : جمع جنة : وقاية .

(٤) يعوه : يحفظوه .

(٥) مفتاح الوجود : أوله وهو الرسول محمد ﷺ ، واللدود : شـــديد الخصـــومة ، وهبوب الريح من بعد الركود : العز بعد الذل، والوزين : الحنظل .

يا ضحى الإسلام بعد الفجر لاح كم له من ضيقه فيك انشراح
ومن الإعنات غايات ارتياح أنت عز السلم عز المسلمين[١]

****

لا تقل : هاجر من خوف الطغاه هل يهاب الناس معصوم الإله؟
إنها سنة من كانوا دعاه وجميل رده للناصرين [٢]؟

(١) الإعنات : المشقة ، والسلم : الإسلام.

(٢) لم يكن بدعاً في هجرته بل سلك مسلك إخوته، فقد هاجر الخليل إبراهيم ، وموسى الكليم . والأنصار باتِّباعه ونَصْره كانت لهم يد بيضاء فكافأهم عليها بهجرته إليهم سيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وخلاصة قصة الهجرة — أنه اجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ فاعترضهم إبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا له : من أنت ؟ قال : أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً ، فقالوا ادخل ، فدخل ، فقال أبو البختري ، أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت مقيداً ، وتشدوا وثاقه ، وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها متاعه وشرابه ، وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء . فصرخ إبليس وقال : بئس الرأي ، رأيتم لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فيوشك أن يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم ، فقالوا : صدق ، فقام هشام بن عمرو فقال : أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير ، وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع ، وأين وقع ؟ فإذا غاب عنكم استرحتم منه، فقال إبليس ما هذا لكم برأي تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم ، فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم ؛ ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه، والله لئن فعلتم ذلك يذهب ، ويستميل قلوب قوم آخرين ، ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم ، فقالوا . صدقت ، فقال أبوجهل ، والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره — أني أرى أن تأخذوا من كل بطن من

قريش شاباً نسيباً ، ثم نعطي كل فتى سيفاً صارما ، ثم يضربونه جميعاً ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه — تفرق دمه في القبائل كلها ، ولا أظن بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها ، وإنهم إذا رأوا ذلك ، قالوا الدية ، فتؤديها قريش- فقال إبليس : صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا - فتفرقوا ، وهم مجمعون على هذا الرأي ، فأتى جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك ، وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج إلى المدينة — فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه ، فأمر ﷺ عليا أن يبيت مكانه وقال له : تسج ببردتي فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه ، ثم خرج ﷺ من الباب وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده ،وهو يتلوا : ﴿ يس ...﴾ إلى ... ﴿ لا يبصرون﴾ ثم انصرف . فأتاهم آت وأخبرهم بخروجه وقال ، والله قد خرج محمد عليكم ، ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته . أما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه التراب وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا .. ﴾ الآية ، وسار النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ فلما أصبحوا و لم يجدوه — اقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت،

فقالوا لو دخلوا هاهنا ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، وروى البخاري عن أنس عن أبي بكر ﷺ قال ، كنت مع النبي ﷺ في الغار ، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يا نبي الله ؟ لو أن أحدهم طأطأ رأسه رآنا ، قال : " اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما " وفي مسند البزار ، أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين، وفي تفسير البيضاوي ، بعث الله حمامتين ، فباضتا في أسفل الغار ، والعنكبوت فنسجت عليه . ثم ما كان من أمر سراقة ، وبلوغه ﷺ المدينة ... الخ .

وفي قصة الهجرة يقول شيخنا الخطيب في ديوانه روضات الخطيب من قصيدته التي مطلعها :

يا عيد ميلاد النبي الهادي	العيد أنت لسائر الأعياد
رصد النبي ببابه أعداؤه	والله ... للطاغين بالمرصاد
مكر الإله له وهم مكروا به	ويفوق مكر الله – مكر عباد
يبغون قتل أبي الفضائل كلها	عين الكمال ومفرد الأفراد
وعناية الله القدير محيطة	أنى لهم فيه بلوغ مراد ؟
فمضى وفوق رؤوسهم وضع الثرى	وأتى أبا بكر على ميعاد
وثلاثةً في غار ثور أخفيا	نفسيهما عن كل فظ عاد
فأتى العداة وقد قفوا أثريهما	وببابه وقفوا وقوف العاد
قالوا : هنا دخلا فقيل : وكيف ذا	وببابه نَسْجُ العناكب باد
من قبل مولده ، وبيض حمامة	لم يدخلاه إذن نعود بداد
فمضوا ، فسار محمد ، ورفيقه	يبغون طيبة ربة الإسعاد
فرأى سراقة فابتغى الجعل الذي	جعلوا لواجده من الأرصاد
فأراد بالسوء النبيَّ وخلَّه	وعدا ليدركه فويق جواد
فدنا فساخ جواده في صلبة	فرجا الأمان من النبي الهاد
وعهوده أعطى بأن مدافعاً	منه يكون ،وذائداً للعاد
فأناله منه الأمان مبشراً	بسوار كسرى في يديه غادي
باءوا بخيبتهم : وبؤت مظفراً	وكذا ذوو الإشقاء والإسعاد
من يستعن بالله يبلغ سؤله	ويعود من عاداه في أنكاد
فأتى المدينة نورها وسناؤها	باليمن والإقبال والأعياد
فاستقبلوه وكلهم جذل به	والبشر أجمعه عليهم باد

****

٥- قصة أنس بن النضر وأخته

عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ(١) فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ(٢) وَانْكَشَفَ(٣) الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ(٤)- ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ(٥) قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ(٦)، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا

---

(١) يفهم من السياق أن مراده المبالغة في القتال وعدم الفرار.

(٢) يوم أحد: برفع يوم على أنه فاعل لكان التامة، وروي بالنصب على الظرفية أي يوم قتال أحد، وأطلق اليوم وأراد الواقعة فهو إضمار أو مجاز

(٣) أي الهزم.

(٤) اعتذر عن الأولياء وتبرأ من الأعداء مع أنه لم يرض الأمرين جميعا، قال بن المنير من أبلغ الكلام وأفصحه قول أنس في حق المسلمين أعتذر إليك وفي حق المشركين أبرأ إليك، فأشار إلى أنه لم يرض الأمرين جميعا مع تفاوتهما في المعنى

(٥) وفي رواية ثابت: أواهاً لريح الجنة أجدها دون أحد. قال بن بطال: يجوز أن يكون على الحقيقة وأنه وجد ريح الجنة حقيقة، أو وجد ريحاً طيبة ذكّره طيبها بطيب ريح الجنة، ويجوز أن يكون أراد أنه استحضر الجنة التي أعدت للشهيد فتصور أنها في ذلك الموضع الذي يقاتل فيه فيكون المعنى إني لأعلم أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها.

(٦) أي ما استطعت أن أصنع ما صنع من إقدامه ولا صنيعه في المشركين من القتل مع أني شجاع كامل القوة، ولا ما وقع له من الصبر بحيث وجد في جسده ما يزيد عن الثمانين من ضربة وطعنة ورمية .

وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ[(١)] وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ[(٢)] بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[(٣)]، قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ[(٤)]) إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَقَالَ: إِنَّ أُخْتَهُ[(٥)] وَهِيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ[(٦)] امْرَأَةٍ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِصَاصِ[(٧)] فَقَالَ أَنَسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا[(٨)] فَرَضُوا بِالأَرْشِ[(٩)] وَتَرَكُوا الْقِصَاصَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

(١) قال العيني كلمة (أو) في الموضوعين للتنويع.

(٢) من المثلة: أي قطعوا أعضاءه من أنف وأذن وغيرها.

(٣) البنان: الأصابع .

(٤) الآية رقم ٢٣ من سورة الأحزاب.

(٥) أي أخت أنس بن النضر وهي عمة أنس بن مالك.

(٦) الثنية من الأسنان: جمعها ثنايا وثنايات وهي في الفم أربع .

(٧) القصاص: مأخوذ من القص وهو القطع، والمراد به أن يفعل بالجاني مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح .

(٨) قاله توقعاً ورجا من فضل الله أن يلهم الخصوم الرضا حتى يعفوا عنها أو يقبلوا الدية، ولم يرد بذلك الرد على الرسول ﷺ والإنكار لحكمه، قال صاحب المشكاة: (لا) في قوله "لا تكسر" إخبار عن عدم الوقوع، وذلك لما كان له عند الله من القرب والزلفي والثقة بفضل الله تعالى ولطفه في حقه أنه لا يخيبه، بل يلهمهم العفو، يدل عليه قوله في رواية مسلم" لا والله لا يقتص منها أبدا" أو أنه لم يكن يعرف أن كتاب الله القصاص على التعين بل ظن التخيير لهم بين القصاص والدية، أو أراد الاستشفاع به ﷺ.

(٩) أرش الجناية : ديتها والجمع أروش.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ [١]". رواه البخاري[٢].

(١) في قوله ﷺ "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره" تعجب منه ﷺ بوقوع مثل هذا من حلف أنس على نفي فعل الغير، وإصرار الغير على إيقاع ذلك الفعل وكان قضية العادة في ذلك أن يحنث في يمينه فألهم الله الغير العفو فبرّ قسم أنس وأن هذا الإتفاق وقع إكراما من الله لأنس ليبر في يمينه، وأنه من جملة عباد الله الذين يعطيهم الله تعالى أربهم ويجيب دعاءهم وفيه جواز الثناء على من وقع منه مثل ذلك من عباد الله عند أمن الفتنة.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب قوله تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ رقم ٢٨٠٥ ، ٢٨٠٦.

ويستفاد من القصة: ١ – جواز بذل النفس في الجهاد. ٢ – فضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها. ٣ – أن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء في التهلكة. ٤ – في الحديث فضيلة ظاهرة لأنس بن النضر وما كان عليه من صحة الإيمان وكثرة التورع وقوة اليقين. والله الموفق.

ومن فضائل الجهاد يقول شيخنا الخطيب في ديوانه (وحي الحديث)

واطلب حياتك بالممات مجاهداً ... في الله عند الله من أحياكا

ما بين منزلتين من مائة له ... ما بين أرضك هذه وسماكا[١]

كم للشهيد شفاعةً في أهله ... ودم كمسك فاح منه شذاكا

والمصطفى ود الحياة وقتله ... متكرراً لما أحس عطاكا

وتنال مغفرة بأول دفعة[٢] ... وبجنة المأوى ترى مأواكا

وأمنت أكبر فزعة ، والشر في ... قبر وتاج وقاره بهاكا

(١) قال عليه الصلاة والسلام : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض .

(٢) أي مع من يغفر لهم أولاً أو في أول دفعة تسيل من دمه .

وأمنت مس لظى إذا أغْبَـرَّت لـه ... في حرب أهل عدائـه قـدماكا

وتزوج الثنـتين والسـبعين مـن ... حور فيا بشراك يـا بشـراكا

وإذا قضيت وما غزوت ومـا بـه ... حدثت نفسك كنت ما أغباكا

والقتـل لـيس شـهادة إلا إذا ... أعليت كلمته وكـان نواكـا

وعلى حياتك فـاطمئن أفي وغـى ... أو غيره حـق يحـين مـداكا

كم سـالم منـه وجمـت سـبله ... وأتاك من حيث الـيقين نجاكـا

ومتى يحن لو كنت في برج السـما ... وجنودها الحراس جم رداكـا

وإذا نكصت تمت وأنـت مـذمم ... وإذا سبقت فعـاطر ذكراكـا

اصبر وصابر ما استطعت ورابطـن ... فربـاط يـوم دونـه دنياكـا

والأجر فيه على الدوام مضـاعف ... والرزق جار، والأمـان لواكـا

٦- الحديبية(❀) وما فيها من العجائب

عَنِ الْمسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَة في بِضْعَ عَشْرَةَ مائَةً منْ أَصْحَابه[١] فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَة[٢] قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ منْهَا بعُمْرَة وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ منْ خُزَاعَةَ[٣] وَسَارَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ بغَدِيرِ الأَشْطَاط أَتَاهُ عَيْنُهُ قَالَ إنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابيشَ[٤] -- وهم ثلاث قبائل متحالفون مع قريش-- وَهُمْ مُقَاتلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْت وَمَانعُوكَ فَقَالَ: أَشيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ أَميلَ إلَى عيَالهِمْ وَذَرَاريِّ هَؤُلاءِ الَّذينَ يُريدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ

(❀) الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وتخفيف الياء ، وكثير من المحدثين يشددها ، قرية قريبة من مكة سميت ببئر فيها ، تبعد عن المسجد الحرام قرابة ٢٥ كيلوا متر وهو موضع مشهور في طريق جدة القديم، وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة ﴾ الفتح / ١٨، ويشير إلى أنها نزلت في قصة الحديبية ، وكان توجهه ﷺ من المدينة في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة سنة ست فخرج قاصداً العمرة فصده المشركون عن الوصول إلى البيت ، ووقعت بينهم المصالحة على أن يدخل مكة في العام المقبل .

(١) وفي رواية البراء " منا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة " .

(٢) ذي الحليفة : بضم الحاء وفتح اللام بينها وبين المدينة ستة أميال ، وهي قرية خربة ، وفيها اليوم عشش قليلة تعرف الآن بأبيار علي وتسمى وادي العقيق، ومسجدها يسمى مسجد الشجرة وتبعد عن مكة ٤٦٤ كيلو متراً تقريباً .

(٣) أي جاسوساً من خزاعة اسمه بسر بن سفيان .

(٤) الأحابيش : جماعات من قبائل شتى ، وقال الخليل : أحياء من قبيلة القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً قبل الإسلام ، وقال بن دريد حلفاء قريش تحالفوا تحت جبل يسمى حبيشاً فسموا بذلك .

الْبَيْت فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ[١] وَإِلا تَرَكْنَاهُمْ[٢] مَحْرُوبِينَ[٣]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّه خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْت لا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَد وَلا حَرْبَ أَحَد فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّه[٤] . إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيد بِالْغَمِيمِ[٥] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ. طَلِيعَةً[٦] فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ[٧] الْجَيْشِ فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ[٨] وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ[٩] الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِه رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ حَلْ حَلْ[١٠] فَأَلَحَّتْ[١١]. فَقَالُوا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا

---

(١) المراد أنه ﷺ استشار أصحابه هل يرسل رجالاً إلى مواطن الذين جاءوا لنصر قريش فيسبى أهلهم فإن جاءوا إلى نصرهم ، اشتغلوا بهم وانفرد هو وأصحابه بقريش .

(٢) أي بأن لم يأتوا لنصرهم .

(٣) محروبين : مسلوبين منهوبين الأموال والعيال .

(٤) الحديث من أوله إلى هنا أخرجه البخاري بلفظه في كتاب المغازي باب في غزوة الحديبية برقم ٤١٧٨ .

(٥) الغميم : موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة .

(٦) عند ابن سعد كانوا مائتي فارس فيهم عكرمة بن أبي جهل حال كونهم طليعة أي مقدمة الجيش.

(٧) القترة بفتح القاف والتاء الغبار الأسود .

(٨) أي يضرب برجله دابته استعجالاً للسير منذراً لقريش بمجيء رسول الله ﷺ .

(٩) أي ثنية المرار وهي طريق في الجبل تشرف علي الحديبية .

(١٠) حل : كلمة تقال زجرا للناقة إذا تركت السير .

(١١) ألحت : أي تمادت في البروك وعدم القيام فلم تبرح من مكانها قال الزمخشري : ألحت أي لزمت مكانها من ألح الشيء إذا لزمه وأصر عليه.

خَلأَت الْقَصْوَاءُ[١] وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ[٢]، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً[٣] يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ[٤]. قَالَ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ[٥] قَلِيلِ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا[٦] فَلَمْ يُلَبِّثْهُ[٧] النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ

---

(١) خلأت القصواء : أي حرنت وتصعبت والخلاء للإبل كالحران للخيل قال ابن قتيبة: لا يكون الخلاء إلا للنوق خاصة والقصواء اسم ناقة رسول الله ﷺ ، وقيل كان طرف أذنها مقطوعاً، والقصو قطع طرف الأذن، وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق فقيل لها القصواء لأنها بلغت من السبق أقصاه.

(٢) المعنى : حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، ومناسبة ذكر قصة الفيل أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال ، كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه مكة ، ولكن سبق في علم الله تعالى في الموضوعين أنه سيدخل في الإسلام خلق منهم ، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون وكان بمكة في الحديبية جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب ناس منهم بغير عمد كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ سورة الفتح/ ٢٥.

(٣) الخطة : الخصلة .

(٤) الوثوب : النهوض والقيام.

(٥) ثمد : بفتح الثاء والميم حفرة فيها ماء مثمود أي قليل ، وقيل الثمد ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.

(٦) أي يأخذونه قليلاً قليلاً والبرض الشيء القليل . قال صاحب العين : التبرض جمع الماء بالكفين .

(٧) أي لم يتركوه .

وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ[١] فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ[٢] فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ[٣] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ[٤] فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ[٥] وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ[٦] وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ فَقَالَ

---

(١) أي في الثمد والذي نزل البئر ناجية بن الأعجم ، وقيل ناجية بن جندب ، وقيل البراء بن عازب ، وقيل عباد بن خالد ، وقيل خالد بن عبادة ، قال ابن حجر : ويمكن الجمع بأنهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره .

(٢) أي رجعوا برواء بعد ورودهم ، وزاد ابن سعد حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر .

(٣) عيبة نصح رسول الله ﷺ : أي موضع سره وأمانته فشبه الصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع خير الثياب .

(٤) أي مكة وما حولها . زاد ابن إسحاق " وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخبئون عنه شيئاً كان بمكة " .

(٥) أعداد فتح الهمزة وسكون العين جمع عدٍّ بالكسر والتشديد ، وهو الماء الذي لا انقطاع لمادته كالعين والبئر ، وفيه دلالة على أنه كان بالحديبية مياه كثيرة وأن قريشاً سبقوا إلى النزول عليها ولذا عطش المسلمون حيث نزلوا على الثمد المذكور.

(٦) العوذ : بضم العين وسكون الواو جمع عائذ أي النوق الحديثات النتاج ذوات اللبن ، وقوله المطافيل : بفتح الميم والطاء الأمهات التي معها أطفالها ، ومراده أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه ﷺ . وقال قتيبة : يريد النساء والصبيان لكنه استعار ذلك يعني أنهم خرجوا معهم بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام وليكون أدعى إلى عدم الفرار ، ويحتمل إرادة المعنى الأعم .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ[١] الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُـدَّةً[٢] وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا [٣] أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَـلَ فِيـهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلا فَقَدْ جَمُّوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَـى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[٤] وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ. فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَـا تَقُولُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِـنْ هَـذَا الرَّجُـلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا. فَقَـالَ سُـفَهَاؤُهُمْ: لا

---

(١) نهكتهم : أي أبلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم وهزلتهم وأضعفت أموالهم . قـال في المصباح : نهتكه أنهكته نهكا هزلته ، ونهكه السلطان عقوبة بالغ في ذلك .

(٢) أي جعلت بيني وبينهم مدة معينة أترك قتالهم فيها .

(٣) شرط بعد الشرط والتقدير فأن ظهر غيرهم عليَّ كفاهم المؤنة ، وإن أظهر أنـا على غيرهم فأن شاءوا أطاعوني وإلا فلا تنقضي مدة الصلح إلا وقد جمـوا أي استراحوا ، ووقع في رواية ابن إسحاق " وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة" وهو ﷺ إنما رد الأمر مع أنه جازم بأن الله سينصره ويظهره لوعد الله بذلك على طريـق التنزيل مع الخصم ، وفرض الأمر على ما زعم الخصم ولهذه النكتة حذف القسم الأول وهو التصريح بظهور غيره عليه ولكن وقع التصريح به في روايـة ابـن إسحاق ولفظه " فإن أصابوني كان الذي أرادوا " .

(٤) السالفة: صفحة العنق وكني بذلك عن القتل- لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقـه. قال الداودي : المراد الموت أي حتى أموت وأبقى منفرداً في قبري ويحتمـل أن يكون أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في مقاتلتهم. قال ابن المنير : لعله ﷺ نبه بالأدنى على الأعلى أي أن لي من القوة بالله والحول به ما يقتضي أن أقاتل عـن ديني لو انفردت فكيف لا أقاتل عن دينه مع وجود المسلمين وكثـرتهم ونفـاذ بصائرهم في نصرة دين الله .

حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ. يَقُولُ: قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا- فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ[١] ؟ قَالُوا : بَلَى. قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ[٢] ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ : فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا : لا. قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ[٣] – فَلَمَّا بَلَّحُوا[٤] عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا : بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قَالُوا: ائْتِهِ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ[٥]: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِن اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ[٦] هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى[٧] فَإِنِّي وَاللَّهِ لا أَرَى وُجُوهًا[٨] وَإِنِّي لأَرَى

---

(١) أي مثل الأب في الشفقة لولده .

(٢) أي مثل الإبن لكم في النصح لوالده .

(٣) عكاظ : موضع بقرب مكة يقع في الشمال الشرقي من مدينة الطائف ، وهو اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع به كل سنة ويتفاخرون فيه ويحضر شعراؤهم ، يتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون . يبعد مسافة ٣٥ كيلو مترا عن الطائف .

(٤) بلحوا : أي امتنعوا أو عجزوا والتبلح الامتناع من الإجابة .

(٥) أي عند قوله ﷺ لأقاتلنهم .

(٦) أي استهلكتهم بالكلية.

(٧) المعنى وإن تكن الدولة لقومك فلا يخفى ما يفعلون بكم ، فجواب الشرط محذوف وفيه رعاية الأدب مع رسول الله ﷺ حيث لم يصرح إلا بشق غالبيته ، وقيل التقدير وأن تكن الأخرى لم ينفعك أصحابك .

(٨) أي أعياناً من الناس.

أَشْوَابًا[١] مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : امْصُصْ بَظْرَ اللاتَ[٢] أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟ فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ- قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا يَدٌ[٣] كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ. قَالَ : وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ [٤]فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ[٥] السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) أشواباً : أي أخلاط من الناس من قبائل شتى حقيقاً أن يفروا ويتركوك قال القنوجي : لأن العادة جرت أن الجيوش المجتمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كانوا من قبيلة واحدة فأنهم يأنفون الفرار في العادة ،وما علم عروة أن مودة الإسلام أبلغ من مودة القرابة .

(٢) امصص : فعل أمر من مص يمص ، والبظر : قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة ، واللات أسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، وقد كانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم ، فتقول : " ليمصص بظر أمه " فاستعار ذلك أبوبكر ﷺ في اللات لتعظيمهم إياها بقصد المبالغة في سب عروة بإقامة ما كان يعبد مقام أمه وَحَمَلَهُ على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار ، قال في الفتح وفيه جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك ، وقال ابن المنير : في قول أبي بكر تخسيس للعدو وتكذيبهم وتعريض بإلزامهم من قولهم أن اللات بنت الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً بأنها لو كانت بنتا لكان لها ما يكون للإناث .

(٣) أي النعمة. قال الزهري : أن عروة كان تحمل بدية فأعانه فيها أبو بكر .

(٤) المغفر : ما يوضع على رأس الفارس من فضلة الدرع .

(٥) النعل: ما يكون أسفل القراب في السيف من فضة وغيرها .

صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمُغيرَةُ بْـــنُ شُعْبَةَ- فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتكَ[١] وَكَانَ الْمُغيرَةُ صَحبَ قَوْمًا فِي الْجَاهليَّة فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْـــه وَسَلَّمَ: أَمَّا الإِسْلامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ[٢] ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ[٣] أَصْحَابَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بعَيْنَيْه قَالَ فَوَاللَّه مَـــا تَـــنَخَّمَ[٤] رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ منْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ[٥] وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتلُونَ عَلَـــى

---

(١) أي ألست أسعى في دفع شر خيانتك ببذل المال . قال ابن هشام أشار عروة بهـــذا إلى ما وقع للمغيرة قبل إسلامه ، وذلك أنه خرج مع ثلاثة عشر نفراً من ثقيف من بني مالك فغدر بهم وقتلهم وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان : بنو مالـــك والحـــلاف رهط المغيرة ، فسعى عروة بن مسعود عم المغيرة حتى أخذوا منه دية ثلاثـــة عشـــر نفسا واصطلحوا وحاصل قصتهم أنهم كانوا خارجين زائـــرين المقـــوقس بمصـــر فأحسن إليهم وقصر في المغيره فحصلت له الغيرة منهم فلما كانوا بالطريق شـــربوا الخمر فلما سكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم ولحق بالمدينة فأسلم .

(٢) قوله ﷺ : " وأما المال فلست منه في شيء " أي لا أتعرض له لكونه أخذه غدرا ؛ لأن أموال المشركين وإن كانت مغنومة عند القهر فلا يحل أخذها عند الأمن. فإذا كان الإنسان مصاحباً لهم فقد أمن كل واحد منهما صاحبه. فسفك الدماء وأخذ الأموال عند ذلك ، والغدر بالكفار وغيرهم محظور. وإنما تحـــل أمـــوالهم بالمحاربة والمغالبة .

(٣) يرمق : أي يلحظ .

(٤) النخامة : ما يصدر من الصدر إلى الفم ، وقال ابن الأثير : البزقة التي تخرج من أقصى الحلق .

(٥) تبركاً بفضلاته ﷺ وزاد ابن إسحاق ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه.

وَضُوئه[١] وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ[٢] تَعْظِيمًا لَهُ. فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِه فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ[٣] وَاللَّه إِنْ رَأَيْتُ[٤] مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّد مُحَمَّدًا؛ وَاللَّه إِنْ يَتَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئه وَإِذَا تَكَلَّموا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْد فَاقْبَلُوهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ[٥]: دَعُونِي آتيه فَقَالُوا ائْته فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِه قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا فُلانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ

---

(١) الوضوء : بفتح الواو يطلق على فضلة الماء الذي توضأ به ، أو على ما يجتمع من القطرات وما يسيل من الماء الذي باشر أعضاءه الشريفة عند الوضوء .

(٢) قوله: " وما يحدون " من الإحداد أي ما يديمون ولا يدعون النظر إليه تعظيماً له، وفيه طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة ، ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال : من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه ؟ بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه ونصره من القبائل التي تراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم فيؤخذ منه جواز التوصل إلى المقصود بكل طريق سائغ .

(٣) قوله : " ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي " : هذا ذكر للخاص بعد العام ، وقوله قيصر : لقب لكل من ملك الروم ، وكسرى : اسم لكل من ملك الفرس ، والنجاشي : لقب لمن ملك الحبشة ، وخص الثلاثة بالذكر لأنهم كانوا أعظم ملوك ذلك الزمن .

(٤) إن بكسر الهمزة نافية أي ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ .

(٥) هو الحليس بن علقمة من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وكان من رؤوس الأحابيش .

يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ[١] فَابْعَثُوهَا لَهُ[٢] فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ[٣] مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ[٤] فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِه قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ[٥] وَأُشْعِرَتْ[٦] فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ[٧] فَقَالَ دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا ائْتِهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ[٨]

---

(١) البدن جمع بدنة ، والبدنة قالوا هي ناقة أو بقرة ، وزاد الأزهري أو بعير ذكر ، وقال بعض الأئمة : البدنة هي الإبل خاصة ، ويدل له قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ سميت بذلك لعظيم بدنها وإنما ألحقت البقرة بالإبل بالسنة وهو قوله عليه الصلاة والسلام : " تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة " إذ لو كانت البدنة في الوضع تطلق على البقرة لما ساغ عطفها، لأن المعطوف غير المعطوف عليه .

(٢) أي أثيروها .

(٣) أي متعجبا .

(٤) أن يمنعوا زاد ابن إسحاق : وغضب وقال : يا معشر قريش ما على هذا عاقدناكم أن نصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ فقالوا : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى .

(٥) تقليد الهدي : وهو أن يعلق بعنق البعير قطعة من جلد ليعلم أنه هدي فيكف الناس عنه .

(٦) إشعار البدن : هو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي .

(٧) هو مكرز بن حفص بن الأخيف وهو من بني عامر بن لؤى .

(٨) فاجر : أي غادر لأنه كان مشهوراً بالغدر ولم يصدر منه في قصة الحديبية فجور ظاهر، وذكر الواقدي: أنه أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلاً فأخذه محمد بن مسلمة وهو على الحرس ، وانفلت منه مكرز فكأنه ﷺ أشار إلى ذلك ، وذكر الواقدي أيضاً في غزوة بدر أن حفص بن الأخيف يعني والد مكرز

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: قَدْ سَهُلَ لَكُمْ منْ أَمْرِكُمْ[١] فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كتَابًا[٢] فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ الْكَاتِبَ[٣] — فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ سُهَيْلٌ : أَمَّا الرَّحْمَنُ فلا أَدْرِي والله مَا هيَ؟ وَلَكنِ اكْتُبْ باسْمكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ[٤]: فَقَالَ الْمُسْلمُونَ : وَاللَّه لا نَكْتُبُهَا إلا بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : اكْتُبْ باسْمكَ اللَّهُمَّ ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه. فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّه لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه مَا

كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بدم له ، فتكلمت قريش ثم اصطلحوا، فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله، فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر في أثناء ذلك ، وكان مكرز معروفاً بالغدر.

(١) هذا من باب التفاؤل ، وكان ﷺ يعجبه الفأل الحسن ، وأتى بمن التبعيضية في قوله : " من أمركم " إيذاناً بأن السهولة الواقعة في هذه القصة ليست عظيمة، قيل ولعله عليه الصلاة والسلام أخذه من التصغير الواقع في سهيل ، فإن تصغيره يقتضي كونه ليس عظيماً .

(٢) وعند ابن إسحاق : فلما انتهى أي سهيل إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب عشر سنين ، وأن يأمن بعضهم بعضاً ، وأن يرجع عنهم عامهم ، وقد اختلف العلماء في المدة التي تجوز المهادنة فيها مع المشركين فذهب جمهور العلماء إلى أنها لا تجاوز عشر سنين ، وقيل تجوز الزيادة على عشر سنين ، وقيل : لا تجاوز أربع سنين ، وقيل سنتين ، والأول هو الراجح .

(٣) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) وكان ﷺ يكتب كذلك في بدء الإسلام ، كما كانوا يكتبون في الجاهلية ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت آية النمل كتب بسم الله الرحمن الرحيم – فأدركتهم حمية الجاهلية.

صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّـهِ[١]، فَقَـالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : وَاللَّه إِنِّي لَرَسُولُ اللَّه وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُـبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّه [قَالَ الزُّهْرِيُّ وَذَلِكَ لِقَوْله : لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّه إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا] فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْت فَنَطُوفَ به فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّه لا تَتَحَدَّثُ[٢] الْعَرَبُ أَنَّا أُخذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ منَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَعَلَى أَنَّـهُ لا يَأْتيكَ منَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دينكَ إِلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا[٣]، قَـالَ الْمُسْـلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّه كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ! فَبَيْنَمَا هُمْ كَـذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ[٤] وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّـدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّه إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَـالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجِزْهُ لِي[٥] قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَـالَ:

---

(١) إنما أجاب سؤال سهيل في ذلك وفاء بقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها أي أجبتهم إليها .

(٢) أي لا نخلي بينك وبين البيت الحرام هذا العام فيتحدث الناس أنا أخذنا قهراً ولكن من العام المقبل .

(٣) وفي رواية لا يأتيك أحد وهي تعم الرجال والنساء فيدخلن في هذا الصلح ثم نسخ ذلك الحكم فيهن .

(٤) اسمه العاصي وكان حبس حين أسلم وعذب فخرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين حال كونه يرسف أي يمشي بطيئاً بسبب القيد.

(٥) قوله : فأجزه لي بصيغة الأمر أي امض لي فعلي فيه فلا أرده لك أو أستثنيه من القضية . وكان النبي ﷺ تلطف معه بقوله " لم نقض الكتاب بعد " رجاء أن يجيبه لذلك ولا ينكر بقية قريش لكونه والده فلما أصر على الامتناع تركه له .

بَلَى فَافْعَلْ. قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكْرَزٌ : بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ[١] قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ[٢] قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ -قَالَ: بَلَى- قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ

---

(١) الذي وقع من مكرز في هذه القصة قيل فيه إشكال ؛ لأنه خلاف ما وصفه له النبي ﷺ من الفجور وكان من الظاهر أن يساعد سهيلاً على أبي جندل، فكيف وقع منه عكس ذلك ؟ أجيب بأن الفجور حقيقة ، ولا يلزم أن لا يقع منه شيء من البر نادراً ، أو قال ذلك نفاقاً وفي باطنه خلافه ، أو كان سمع قول النبي ﷺ أنه رجل فاجر فأراد أن يظهر خلاف ذلك .

وقد ذكر الواقدي في روايته ما يدل على أن إجازة مكرز لم تكن في أن لا يرده إلى سهيل بل في تأمينه من التكذيب ونحو ذلك وإن مكرزاً وحويطباً أخذا أبا جندل فأدخلاه فسطاطاً وكفا أباه عنه وهذا يدل على أن أقوى الاحتمالات الأول فإنه لم يجزه بأنه يقره عند المسلمين بل ليكف العذاب عنه ليرجع إلى طواعية أبيه فما خرج بذلك عن الفجور .

(٢) زاد ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإنا لا نغدر ، وإن الله جاعل لك فرجا ومخرجا " .

قال الخطابي : تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين :

أحدهما : أن الله قد أباح التقية للمسلم إذا خاف الهلاك ، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية ، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية .

الثاني : أنه إنما رده إلى أبيه ، والغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك وإن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضاً ، وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله يبتلى به صبر عباده المؤمنين .

فَلمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[1] في دينِنَا إذًا ؟ قَالَ: إنِّي رَسُولُ اللَّه وَلَسْتُ أَعْصِيه وَهُوَ نَاصري[2]. قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ به؟ قَالَ بَلَى: فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتيه الْعَامَ؟ قَالَ : قُلْتُ لا. قَالَ فَإنَّكَ آتيه وَمُطَّوِّفٌ به. قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّه حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَلمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دينِنَا إذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إنَّهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِه[3] فَوَاللَّه إنَّهُ عَلَى الْحَقِّ. قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِه؟ قَالَ: بَلَى. أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتيه الْعَامَ؟ قُلْتُ: لا- قَالَ: فَإنَّكَ آتيه وَمُطَّوِّفٌ به. قَالَ عُمَرُ: فَعَملْتُ لذَلكَ أَعْمَالا[4]. قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ منْ قَضيَّة الْكتَاب قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لأَصْحَابِه: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلقُوا. قَالَ: فَوَاللَّه مَا قَامَ

---

١) الدنية : الخصلة المذمومة .

٢) هذا ظاهر في أنه ﷺ لم يفعل من ذلك شيئاً إلا بوحي قال القنوجي : فيه تنبيه لعمر على إزالة ما حصل عنده من القلق ، وأنه ﷺ لم يفعل ذلك إلا بوحي من الله .

(٣) قوله : " استمسك بغرزه " أي تعلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ، ولا تخالفه فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره.

(٤) المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداء من الذهاب والمجيء والسؤال والجواب ، ولم يكن ذلك شكا من عمر ، بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على إذلال الكفار لما عرف من قوته في نصرة الدين ، وقد ورد عن عمر ﷺ التصريح بمراده في قوله " ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به.

مِنْهُمْ رَجُلٌ [١] حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّات. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّـه أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ. فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ[٢]: نَحَرَ بُدْنَهُ[٣] وَدَعَا حَالِقَهُ [٤] فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا [٥]وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[٦] ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ

---

(١) قيل : كأهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب ، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخول مكة ذلك العام لإتمام نسكهم وسوغ لهم ذلك ؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ ، ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة ، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور ، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم .

(٢) فهمت أم سلمة – رضي الله عنها – من الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم ، وأنه ﷺ يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه ، فأشارت عليه أن يتحلل لينفي عنهم هذا الاحتمال.

(٣) وكانوا سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ به المشركين وكان غنمه في غزوة بدر .

(٤) هو خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي الكعبي .

(٥) أي هديهم ممتثلين ما أمرهم به إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر .

(٦) قوله : " حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً " أي من شدة الازدحام " غما" على عدم المبادرة للامتثال ، وفيه فضل المشورة وأن الفعل إذا انضم للقول كان أبلغ من القول المجرد ، وجواز مشورة المرأة الفاضلة ، وفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة.

مُؤْمِنَاتٌ (١) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾(٢) حَتَّى بَلَغَ ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (٣) فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ(٤) فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا (٥) مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَة فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ(٦) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبه رَجُلَيْنِ(٧) فَقَالُوا الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخَرَجَا به حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَة فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرهمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ(٨) : وَاللَّه إِنِّي لأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلانُ جَيِّدًا – فَاسْتَلَّهُ

---

(١) أي بعد ذلك في أثناء مدة الصلح .

(٢) من الآية ١٠ من سورة الممتحنة. والمعنى أختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوهن لألسنتهن فكان رسول الله ﷺ يمتحنهن بالحلف والنظر في الإمارات ، قال قتادة : كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز، وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه ، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن .
وبقية الآية: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ أي إلى أزواجهن الكفرة ، لقوله تعالى : ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا ﴾ أي ما دفعوا إليهن من المهور .

(٣) أي حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ أي بما تعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد به نهي المؤمنين على المقام على نكاح المشركات .

(٤) قريبة بنت أبي أمية ، وابنة جرول الخزاعي أم عبد الله بن عمر.

(٥) وهي قريبة بنت أبي أمية .

(٦) هو عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة .

(٧) هما خنيس بن جابر ، وأزهر بن عبد عوف .

(٨) وهو خنيس بن جابر .

الآخَرُ فقَالَ أَجَلْ وَاللَّه إنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ به ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبو بَصير أرني أَنْظُرْ إلَيْه فَأَمْكَنَهُ منْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ[١] وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجدَ يَعْدُو فقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حينَ رَآهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا[٢]. فَلَمَّا انْتَهَى إلَى النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: قُتلَ وَاللَّه صَاحبي وَإنِّي لَمَقْتُولٌ. فَجَاءَ أَبُو بَصير فَقَالَ : يَا نَبيَّ اللَّه قَدْ وَاللَّه أَوْفَى اللَّهُ ذمَّتَكَ[٣] قَدْ رَدَدْتَني إلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَاني اللَّهُ منْهُمْ. قَالَ النَّبيُّ ﷺ: وَيْلُ أُمِّه[٤] مسْعَرَ حَرْب[٥] لَوْ كَانَ لَهُ

---

(١) برد بفتح الباء والراء أي خمدت حواسه وهي كناية عن الموت لأن الميت تسكن حركته وأصل البرد السكون وهو قول الخطابي وقال ابن الأثير : البرد الموت .

(٢) أي خوفاً .

(٣) المعنى ليس عليك منهم عتاب فيما صنعت أنا وعن الزهري : فقال أبو البصير : يا رسول الله إني إن قدمت عليهم فتنوني عن ديني ففعلت ما فعلت ، وليس بيني وبينهم عهد ولا عقد .

وقال القنوجي : وفيه أن للمسلم الذي يجيء من دار الحرب في زمن الهدنة قتل من جاء في طلب رده إذا شرط لهم ذلك ؛ لأن النبي ﷺ لم ينكر على أبي البصير قتله للرجل ، ولا أمر فيه بقود ولا دية .

(٤) قوله : " ويل أمه " بضم اللام ،ووصل الهمزة وكسر الميم المشدودة كلمة ذم تقولها العرب في المدح ، ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم ؛ لأن الويل الهلاك، وقال بديع الزمان في رسالة له : " والعرب تطلق تربت يمينه في الأمر إذا أهم ، ويقولون : ويل أمه ولا يقصدون الذم .

قال الزبيدي : وأصل ويل دعاء عليه بالعذاب والهلاك ، وقيل ويل واد في جهنم لو وضعت فيه الجبال لانماعت من حره ، واستعمل هنا للتعجب من إقدامه على الحرب ، والإيقاد لنارها وسرعة النهوض لها .

(٥) يقال سَعَرتُ النار والحرب إذا أوقدتها، وسعرتها بالتشديد للمبالغة، والمسعر والمسعار: ما تحرك به النار من آلة الحديد ، يصفه بالمبالغة في الحرب . قال الخطابي : كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها.

أَحَدٌ[١]. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ[٢]. قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ[٣] فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ[٤] فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلا اعْتَرَضُوا لَهَا[٥] فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ[٦] فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ. فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ[٧]. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

---

(١) المراد لو كان له أحد ينصره ويعاضده ويناصره لإسعار الحرب ، لأثار الفتنة وأفسد الصلح . وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحق به .

(٢) السيف بكسر السين : ساحل البحر في مكان يسمى العيص علي طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام ، قال الحافظ بن حجر : وهو يحازي المدينة إلى جهة الساحل. أقول : ولا يزال العيص معروفاً بهذا الاسم حتى الآن.

(٣) المراد أنه انفلت وهرب من أبيه وأهله وفي تعبيره بالصيغة المستقبلية إشارة إلى إيراده مشاهدة الحال كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ آية ٩ سورة فاطر .

(٤) العصابة : الجماعة ولا واحد لها من لفظها ، وهي تطلق على الأربعين فما دونها، والحديث يدل على أنها تطلق على أكثر من ذلك فعند ابن إسحاق أنهم بلغوا نحواً من سبعين بل جزم به عروة وزاد وكرهوا أن يقدموا المدينة في مدة الهدنة خشية أن يعادوا إلى المشركين ، وسمى الواقدي منهم : الوليد بن المغيرة .

٥) وقفوا في طريقها بالعرض وذلك كناية عن منعهم لها من المسير .

(٦) "لما" بالتشديد أي إلا أرسل إلى أبي بصير وأصحابه بالامتناع من إيذاء قريش.

(٧) فقدموا عليه فعلم الذين كانوا أشاروا بأن لا يسلم أبا جندل إلى أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما كرهوا .

عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) حَتَّى بَلَغَ (الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)(١) وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ "أخرجه البخاري (٢).

---

(١) أية رقم ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ من سورة الفتح والحمية الأنفة والعار والمنع يقال حميت القوم حماية منعتهم من وصول الشر والأذى إليهم وأحمت الحي جعلته حمى لا يدخل فيه ولا يقرب منه .

(٢) صحيح البخاري باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط رقم ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢.

ويستفاد من القصة : ١ — أن صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة فقد ساعدت الهدنة في عرض المسلمين لدينهم على القبائل ، فدخل في فترة السنتين اللتين أعقبتا الصلح أكثر مما دخل فيه منذ بداية الدعوة الإسلامية وكذلك أسماه الله تعالى فتحاً .

٢ — أراد الله تعالى بهذا الصلح أن يبرز الفرق واضحاً بين وحي النبوة وتدبير الفكر البشري وبين توفيق النبي المرسل ، وتصرف العبقري المفكر ، فقد آثر الله أن ينصر نبيه ، هذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

٣ — يجوز عقد الهدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم كما فعل رسول الله ﷺ مع كفار قريش .

٤ — البراعة السياسية لرسول الله ﷺ في مفاوضات الصلح مع قريش فقد كان ظاهر الشروط أنها في مصلحة قريش ، ولكن عند التطبيق اتضح أن الشروط كانت في مصلحة المسلمين ، واضطر كفار قريش إلى إلغاء الشروط المجحفة بالمسلمين عند التطبيق العملي للاتفاقية .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين

تحت عنوان من سياسته ﷺ

يا أكمل الخلق من كل العقول إذا ... له أضيفت غدت في غاية العـــدم

لو لم يكن منك إلا أن نظمتـــهمو ... بعد التفرق نظم الخـــط بـــالقلم

فشد بعضهمو بعضا فلـــو وقعـــت ... شكاة بعض شكا كـــل مـــن الألم

وكم مشاكل جلاها ، وكم عقـــد ... بحجره حل بل كم فك مـــن إزم

ولو مشى العصر في منهاجه لـــرأى ... حل المشاكل ميســـوراً بغـــير دم

وعمه نور عدل السلم فانقشـــعت ... غياهب الحرب والإجحاف والظلم

راموا رَداك وقد كانوا عداك ومذ ... شاموا هداك وما فيه من الكـــرم

عاد العداء وداداً والشتائم أمـــــداحاً وقسوتهم أسنا مدى الرأم

وزايلوا وطنا بل فـــارقوا ســـكناً ... بل قارفوا محناً أربت على الضـــرم

وقاتلوا والداً فيه ، ومـــن ولـــدوا ... ونفسه قد فدوا بالنفس والحشـــم

لـــولا ســـهولته لـــولا مرونتـــه ... لولا مروءتـــه ذا الـــدين لم يقـــم

أعظـــم بهمتـــه أشـــرف بذمتـــه ... أكرم بقيمته في الحلـــم كـــالعلم

فكم مسيءٍ بحسن الصفح قابلـــه ... وكم عبوس أراه بشـــر مبتســـم

انظـــر روائعـــه أنظـــر بدائعـــه ... أنظـــر جوامعـــه دريـــة الكلـــم

نهاه فاق فبـــز الخلـــق واتســـعت ... أخلاقه لبني الغـــبراء كلـــهم [1]

واللين في الأيد في حزم يفيد قـــوي ... لا تستفاد بجم الجند والخـــدم [2]

وما تسَاوى الذي للنصر ترغمـــه ... بمن لنصرك إجلالاً علـــى قـــدم

---

(١) نهاه : عقله ، وبز : غلب ، والغبراء : الأرض .

(٢) الأيد : القوة .

٧- أبو سفيان وهرقل[(١)]

عَن عبد الله بن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما- أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْب[(٢)] مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّة الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَادَّ[(٣)] فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ[(٤)] وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ[(٥)] فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ

---

(١) هرقل ولقبه قيصر قاله الشافعي وهو في لغتهم مشتق من القطع، لأن أحشاء أمه قطعت حتى أخرج منها لما ماتت بالطلق، وكان شجاعا جبارا مقداما في الحروب، وهو أول من ضرب الدنانير وأحدث البيعة وملك الروم إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه توفى النبي ﷺ .

(٢) جمع راكب كصحب وصاحب وقيل اسم جمع وهم أولو الإبل لعشرة فما فوقها " من قريش" صفة لراكب ومن للتبعيض أو لبيان الجنس وهم ولد النضر بن كنانة، ومثل ولد فهر بن مالك سموا بذلك لتقرشهم أي تجمعهم في الحروب، والمعنى أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب وذلك لأنه كان كبيرهم فلذا خصه.

(٣) ما د بتشديد الدال من مادد فأدغم الأول في الثاني من المثلين، وهي مدة صلح الحديبية سنة ست التي ماد بها أبا سفيان وكفار قريش أي صالحهم على ترك القتال عشر سنين فنقضوا العهد فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة.

(٤) في الكلام حذف أي أرسل إليهم في طلب إتيان الركب فجاء الرسول فوجدهم بغزة وكانت وَجْهَة متجرهم فأتوه.

(٥) أي هرقل وأتباعه بمدينة بيت المقدس وسبب ذهاب هرقل إليها أن كسرى أغزى جيشه على بلاده فخربوا كثيرا منها، ثم استبطأ كسرى أميره فأراد قتله وتولية غيره، فاطلع أميره على ذلك، فباطن هرقل واصطلح معه على كسرى، وانهزم عنه بجنود فارس، فمشى هرقل من حمص إلى بيت المقدس شكرا لله تعالى على ذلك، وكان يبسط له البسط، وتوضع عليها الرياحين فيمشى عليها.

ثُمَّ دَعَاهُمْ(١) وَدَعَا بِتَرْجُمَانِه(٢) فَقَالَ(٣) : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ(٤) فَقَالَ(٥) : أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِه(٦) ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِه : قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ(٧) فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا(٨) عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ، قُلْتُ: لا. قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ

---

(١) عطف على قوله فدعاهم، وليس بتكرار بل معناه أمر بإحضارهم فلما حضروا وقعت مهله، ثم استدناهم كما تشعر بها الأداة الدالة عليها وهكذا عادة الملوك الكبار إذا طلبوا شخصا يحضرون به، ويوقفونه على الباب زمانا حتى يؤذن له بالدخول.

(٢) الترجمان: بفتح التاء وضم الجيم: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة.

(٣) أى الترجمان.

(٤) أي من حيث النسب لكونه من بني عبد مناف وهو الأب الرابع للنبي ﷺ ولأبي سفيان، و لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره، وإنما خص هرقل الأقرب.

(٥) أي هرقل.

(٦) أمر باستدنائه منه ليمعن في السؤال ويشفي غليله، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره لئلا يستحوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب .

(٧) عن النبي ﷺ وأشار إليه إشاره القريب لقرب العهد بذكره ولأنه المعهود في أذهانهم.

(٨) أن يأثروا: أي ينقلوا الكذب لكذبت أي عن الأخبار بحاله وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب أما بالأخذ عن الشرع السابق أو بالعرف.

يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ : ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً[١] لدينه بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه؟ قُلْتُ: لا قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لا. قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ[٢] لا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ : وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ[٣]. قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ[٤] ؟ قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[٥] يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ[٦]. قَالَ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ : يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ

---

(١) السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به والمعنى فهل يرتد أحد منهم كراهة وعدم رضا، أو ساخطا لدينه بعد أن يدخل فيه .

(٢) أي هدنة مؤقتة وهي صلح الحديبية.

(٣) أي لم أجد كلمة انتقصه فيها غير هذه، على أنها ليست بشيء لأن شهادتهم له في الماضي بالوفاء يجعل احتمال وقوع الغدر منه في المستقبل ضعيفا، فإن من شب على شئ شاب عليه، قال أبو سفيان: فوالله ما التفت إليها أي لم يعر هرقل هذه الجملة اهتماما.

(٤) نسب بدءَ القتال إليهم و لم ينسبه إليه ﷺ لما اطلع إليه من أن النبي ﷺ لا يبدأ قومه بالقتال حتى يقاتلوه.

(٥) في هذه الجملة تشبيه بليغ، شبه الحرب بالسجال مع حذف أداة التشبيه لقصد المبالغة، كقولك زيد أسد وأراد بالسجال النوب، يعني الحرب بيننا وبينه نوب، نوبة لنا ونوبة له كالمستقين بالسَّجْل، يكون لكل واحد منهم سجل.

(٦) أي يصيب منا ونصيب منه، أشار أبو سفيان بذلك لأنه وقعت المقاتلة بينه وبينهم في ثلاثة مواطن: بدر وأحد والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين ببدر، وعكسه في أحد، وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق والجملة تفسيرية للخبر على حذف الرابط أي ينال فيها منا وننال فيها منه.

وَحْدَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ إِنِي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبله ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقُلْتُ : لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا قُلْتُ : فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُم اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لا : وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ بِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا، فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ[١] وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ[٢] لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ[٣] وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [٤] الَّذِي بَعَثَ بِهِ

(١) موضع قدمي أي: أرض بيت المقدس أو أرض ملكه.

(٢) قاله لما عنده من علامات نبوته الثابتة في الكتب القديمة.

(٣) قوله: "لتجشمت لقاءه" أى لتكلفت الوصول إليه.

(٤) أي ثم دعا هرقل بالكتاب الذي كتبه له رسول الله ﷺ مفعول دعا محـــذوف أي من وكل ذلك إليه أو من يأتي به.

دِحْيَةُ[١] إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى[٢] فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ[٣] فَقَرَأَهُ[٤] فَإِذَا فِيه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[٥] مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[٦] إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ[٧]- سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ[٨]

---

(١) دحية بكسر الدال وفتحها لغتان ويقال له الرئيس بلغة اليمن وهو دحية بن خليفة الكلبي صحابي جليل كان من أحسن الناس وجها، أسلم قديما مات في خلافة معاوية.

(٢) بصرى: مدينة حوران، وعظيمها الحارث بن أبي شمر الغساني.

(٣) أي أرسل به عظيم بصرى إليه صحبه عدي بن حاتم، وكان إذ ذاك عدى نصرانيا فوصل به هو ودحية معا وكان وصوله إلى هرقل في المحرم سنة سبع.

(٤) فقرأه معطوف على دعا أي قرأه هرقل بنفسه أو الترجمان بأمره.

(٥) فيه استحباب تصدير الكتب السماوية بالبسملة وإن كان المبعوث إليه كافرا، فإن قيل قدم سليمان اسمه على البسملة أجيب بأنه إنما ابتدأ الكتاب بالبسملة وكتب اسمه عنوانا بعد ختمه كما هو العادة ولذا عرفت بلقيس كونه من سليمان بقراءة عنوانه فقالت: إنه من سليمان ثم قالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم بعد أن فتحته، وقيل خاف من بلقيس أن تسب فقدم اسمه دون اسم الله تعالى.

(٦) وصف النبي ﷺ نفسه الشريفة بالعبودية تعريضا لبطلان قول النصارى في المسيح إنه ابن الله لأن الرسل مستوون في أنهم عباد الله، وفيه استحباب ابتداء الكاتب بنفسه وهو قول الجمهور بل حكى فيه النحاس إجماع الصحابة.

(٧) قوله: "إلى عظيم الروم" أي المعظم عندهم ووصفه بذلك لمصلحة التأليف ولم يصفه بالإمرة ولا الملك لكونه معزولا بحكم الإسلام .

(٨) أي فإني أدعوك بالكلمة الداعية إلى الإسلام التي لا يصح الإسلام إلا بها وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

الإِسْلام- أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ[١]. فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٢] وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[٣] قَالَ[٤]: قال أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ[٥] وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ خلوت بهم: لَقَدْ أَمِرَ[٦] أَمْرُ ابْنِ

---

(١) وإعطاء الأجر مرتين لكونه كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ أو لأن إسلامه يكون سببا لإسلام أتباعه فله أجر على إسلامه وأجر على إسلامهم.

(٢) الأريسيين: جمع أريسي، وفي رواية، اليريسيين، وفيه أربع لغات، والمراد بهم الأكارون أي الفلاحون قال أبو عبيدة: المراد بالفلاحين أهل مملكته لأن كل من كان يزرع فهو عند العرب فلاح سواء كان يلي ذلك بنفسه أم بغيره، وقال الخطابي: أراد أنَّ عليه إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلم تقليدا له لأن الأصاغر أتباع الأكابر.

وقال ابن حجر في الكلام حذف دل عليه المعنى وهو فإن عليك مع إثمك إثم الإريسيين لأنه إذا كان عليه إثم الاتباع بسبب أنهم تبعوه على استمراره على الكفر فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى، وهذا يعد من مفهوم الموافقة ولا يعارض هذا قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ لأن وزر الإثم لا يتحمله غيره، ولكن الفاعل المتسبب المتلبس بالسيئات يتحمل من جهتين جهة فعله وجهة تسببه.

(٣) أية رقم ٦٤ من سورة آل عمران.

(٤) أي عبد الله بن عباس.

(٥) الصخب : وهو اختلاط الأصوات في المخاصمة.

(٦) أمر بفتح الهمزة وكسر الميم: أي كثر وارتفع شأنه يعني النبي ﷺ.

أَبِي كَبْشَةَ[١]. إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[٢]. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلامَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ[٣] صَاحِبُ إِيلِيَاءَ[٤] وَهِرَقْلَ[٥] سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ[٦] يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ[٧]

---

(١) كبشة: بفتح الكاف وسكون الياء اسم مرتجل ليس بمؤنث الكبش لأن مؤنث الكبش من غير لفظه، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان وعبد الشعرى، فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأوثان شبهوه به، وقيل: إنه كان جد النبي ﷺ من قبل أمه، فأرادوا: أنه نزع في الشبه إليه .

(٢) بني الأصفر هم الروم لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.

(٣) وفي رواية ابن الناطور بالطاء المهملة. والناطور: اسم أعجمي ومعناه بالعربية حارس البستان. قال الزبيدي والواو في قوله وكان: عاطفة قصة على قصة فالقصة الآتية موصولة إلى ابن الناطور مروية عن الزهري لأنه لقى ابن الناطور في زمن خلافة عبد الملك لا عن أبي سفيان خلافا لمن وهم أخذا من ظاهر السياق.

(٤) أي أميرها.

(٥) قوله: "وهرقل" مجرور بالعطف على إيلياء أي وصاحب هرقل أي تابعه أو صديقه ففيه استعمال صاحب في معنيين، مجازى وحقيقي، لأنه بالنسبة إلى إيلياء أمير وذلك مجاز، وبالنسبة إلى هرقل تابعه أو صديقة وذلك حقيقة. قال الكرماني: وإيراد المعنيين الحقيقي والمجازي في لفظ جائز واحد عند الشافعي، وعند غيره محمول على إيراد معنى شامل لهما وهذا يسمى عموم المجاز.

(٦) أي جعل أسقفا عليهم" الأسقف: هو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم: وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته .

(٧) خبيث النفس: أي ثقيلها - كريه الحال.

فَقَالَ له بَعْضُ بَطَارِقَتِه[١] : قَد اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ. قَالَ ابْنُ النَّاظُور: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً[٢] يَنْظُرُ فِي النُّجُوم[٣]. فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ : إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ أن مَلِكَ الْخِتَانِ[٤] قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِه الأُمَّة[٥]؟ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلا الْيَهُودُ فَلا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُود. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِه مَلِكُ غَسَّانَ[٦] يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْه فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَب فَقَالَ : هُمْ يَخْتَتِنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ : هَذَا مُلْكُ هَذِه الأُمَّة قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ[٧]– وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ– وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى

---

(١) بطارقته: جمع بطريق أي قواده وخواص دولته وأهل الرأى والشورى منهم .

(٢) حزاء: أى كاهنا.

(٣) ينظر في النجوم: هو تفسير لحزاء لأن الكهانة تؤخذ تارة من ألفاظ الشياطين، وتارة من أحكام النجوم، وكان كل من الأمرين في الجاهلية شائعا ذائعا إلى أن أظهر الله الإسلام، فانكسرت شوكتهم وأنكر الشرع الاعتماد عليهم .

(٤) أن ملك الختان: أي سلطان أهل الختان قد ظهر، لأنه في تلك الأيام كان ابتداء ظهوره ﷺ إذ صالح الكفار بالحديبية وأنزل الله تعالى عليه ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا**﴾، أي سنفتح، إذ فتح مكة كان سببه نقض قريش للعهد الذي كان بينهم بالحديبية، ومقدمة الظهور ظهور .

(٥) "فمن يختتن من هذه الأمة" أي من أهل هذا العصر، وإطلاق الأمة على أهل العصر كلهم فيه تجوز .

(٦) ملك غسان: هو الحارث بن أبي شمر صاحب بصرى، وغسان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه.

(٧) رومية: مدينة رياسة الروم ويقال إن روما بناها، وتسمى أيضا بالرومية الكبرى وهي مقر خليفة النصارى المسمى -البابا.

حِمْصَ[١] فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ . فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[٢] لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ[٣] إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ[٤] قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا[٥] أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[٦]. " متفق

---

(١) حمص: بكسر الحاء وسكون الميم، بلدة معروفة بالشام سميت باسم رجل سكنها من العمالقة اسمه حمص وكانت في قديم الزمان أشرف بلاد دمشق، دخلها ستمائة رجل من الصحابة، افتتحها أبو عبيدة سنة ستة عشر، أما في هذا العهد فإنها مازالت مدينة عامرة مشهورة في سوريا واقعة بين مدينتي دمشق وحلب.

(٢) الدسكرة: بناء على هيئة القصر، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .

(٣) حيصة حمر الوحش: أي كحيصتها: شبههم بالوحوش لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية، وبالحمر دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل وعدم الفطنة .

(٤) أي قنط من الإيمان، أى من إيمانهم لما أظهروه، ومن إيمانه لكونه شح بملكه وكان يحب أن يطيعوه فيستمر ملكه ويسلم ويسلمون، فما أيس من الإيمان إلا بالشرط الذي أراده، وإلا فقد كان قادرا على أن يفر عنهم ويترك ملكه رغبة فيما عندهم .

(٥) آنفا بالمد مع كسر النون أي قريبا، وهو منصوب على الظرفية، والمعنى قلت مقالتي هذه الساعة حال كوني امتحن بها شدتكم أي رسوخكم على دينكم.

(٦) آخر شأن هرقل: أي فيما يتعلق بهذه القصة، المتعلقة بدعائه إلى الإسلام خاصة، وليس المراد أنه انقضى أمره حينئذ ومات لأنه قد وقعت له قصص أخرى بعد ذلك كتجهيز الجيوش إلى مؤتة وإلى تبوك ومحاربة المسلمين، وهذا يدل على

عليه [1].

استمراره على الكفر، قال ابن حجر لكن يحتمل مع ذلك أنه كان يضمر الإيمان ويفعل هذه المعاصي مراعاة لملكه وخوفا من أن يقتله قومه إلا أنه في مسند أحمد أنه كتب من تبوك إلى النبي ﷺ إنه أسلم فقال النبي ﷺ بل هو على نصرانيته.

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي حديث رقم ٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد باب كتاب النبي إلى هرقل .

ويؤخذ من القصة:

١ - أن الرسل لا تبعث إلا من ذوى الأنساب العريقة. ٢ - ملاطفة المكتوب إليه وتقديره التقدير اللائق الذي لا يتجاوز حدود الشريعة. ٣-تصدير الكتاب بالبسملة ولو كان المبعوث إليه كافراً. ٤ - أن الكتابي إذا أسلم له أجران. ٥- مشروعية دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم. ٦ - استقباح الكذب. ٧ - إن صدق الرسول كان معلوما علما يقينيا عند أهل الكتاب.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه الروضات تحت عنوان ديانته ﷺ :

يا راسماً للناس خير ديانة ... يلقى الهدى الملقى لها بقياد

نظمت صلاح الدين والدنيا معاً ... وسلامة الأرواح والأجساد

سيان ذو الإملاق فيها والغنى ... والعبد مثل السادة الأمجاد

لا فرق بين رعية ورعاتها ... فيها وفوق الكل رب عباد

وبها دعوت إلى التواصل والندى ... والعدل والإحسان والإرشاد

ومعزة وأمانة ورعاية ... وسماحة وشجاعة وسداد

ونهيت عن فحش وظلم وافترا ... وتكبر وتقاطع وعناد

وجد الفقير من الزكاة قوامه ... فغدا لذي الإثراء رب وداد

فصفت لهم تلك الحياة بأمنهم ... في دورهم وسبيلهم والناد

أس الملذات الأمان وكلها ... من دونه لم تخل من أنكاد

ولو أن كل الناس مستن بها ... ما كان مَعدوٌ عليه وعاد

٨- من معجزاته[١] ﷺ

عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّا أَسْرَيْنَا[٢] حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً ولا وَقْعَةَ[٣] عِنْدَ الْمُسَافِرِ أحلى مِنْهَا، قَالَ فَمَا أَيْقَظَنَا إِلا حَرُّ الشَّمْسِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ فُلانٌ ثُمَّ فُلانٌ[٤] ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رَضِي اللَّه تَعَالَى عَنْهم) الرَّابِعُ وَكَانَ النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ لَمْ نُوقِظْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ فإِنَّا لا نَدْرِي مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي نَوْمِهِ[٥]، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ عُمَرُ وَرَأَى مَا أَصَابَ النَّاسَ وَكَانَ رَجُلا جَلِيدًا[٦] فَكَبَّرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ حَتَّى اسْتَيْقَظَ لِصَوْتِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٧]، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة المقترن بالتحدي، السالم عن المعارضة، الدال على صدق مدعي النبوة لتكون إلزاماً للمعاندين المكابرين، وتثبيتا لقلوب أهل ملته المصدقين لنبوته فيزدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم.

(٢) قال الجوهري: تقول سريت وأسريت إذا سرت ليلا، وقال صاحب المحكم: السري: سير عامة الليل .

(٣) وقعنا وقعة: نمنا نومة .

(٤) فلان المستيقظ أولا: أبو بكر ﷺ. ثم فلان: يحتمل أن يكون عمران الراوي لأن الظاهر أنه شاهد ذلك ولا يمكنه مشاهدته إلا بعد استيقاظه ثم فلان يحتمل أن يكون من شارك عمران في روايته هذه القصة وهو ذو مخبر كما صرح به الطبري .

(٥) ما يحدث له في نومه ﷺ: أي من الوحي وكانوا يخافون من انقطاعه بالإيقاظ .

(٦) جليداً: بفتح الجيم وكسر اللام من الجلادة بمعنى الصلابة وقال ابن الأثير جليداً أي قويا في نفسه وجسمه .

(٧) قوله حتى استيقظ لصوته ﷺ: أي لأجل صوته النبي ﷺ، وإنما استعمل التكبير لسلوك طريق الأدب والجمع بين المصلحتين إحداهما الذكر، والأخرى الاستيقاظ، وخص التكبير لأنه الأصل في الدعاء إلى الصلاة.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَوْا إليه الَّذي أَصَابَهُمْ فَقَالَ لا ضَيْرَ أَوْ لا يَضِيرُ[١] ارْتَحِلُوا فَارْتَحَلُوا[٢] فَسَارَ غَيْرَ بَعِيد ثُمَّ نَزَلَ فَدَعَا بِالْوَضُوءِ فَتَوَضَّأَ وَنُودِيَ بِالصَّلاةِ[٣] فَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَلَمَّا انْفَتَلَ[٤] مِنْ صَلاتِهِ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ[٥] مُعْتَزِلٍ لَمْ يُصَلِّ مَعَ الْقَوْمِ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ يَا فُلانُ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلا مَاءَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ[٦]

---

(١) لا ضَيْر: أي لا ضرر، وقوله أو لا يضير شكٌ من الراوي، وفيه تأنيس لقلوب الصحابة، لما عرض لهم من الأسف على فوات الصلاة في وقتها بأنه لا حرج عليهم إذ لم يتعمدوا ذلك.

(٢) قوله "ارتحلوا" بصيغة الأمر للجماعة المخاطبين من الصحابة فارتحلوا عقب أمره بذلك ، وكان سبب الارتحال من ذلك الموضع حضور الشيطان فيه، واستدل به على جواز تأخير الفائتة عن وقت ذكرها إذا لم تكن عن تغافل أو استهانة ، ولأبي داود عن ابن مسعود وتحولوا عن مكانكم الذي أصابتكم فيه الغفلة.

(٣) ونودي بالصلاة: أي أذن لها ويؤخذ منه سنية الأذان للصلاة الفائتة وقوله "فصلى بالناس" يؤخذ منه مشروعية الجماعة في الفوائت.

(٤) انفتل: أي انصرف.

(٥) قيل: هو خلاد بن رافع بن مالك الأنصاري.

(٦) اتفق العلماء على جواز التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله لقوله تعالى ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ المائدة / ٦ واختلفوا في الصعيد الطيب نفسه فقال أبو حنيفة ومالك يجوز بجميع أجناس الأرض وزاد مالك فقال يجوز بما اتصل بالأرض كالنبات، وقال الشافعي وأحمد : لا يجوز التيمم بغير التراب: قال الشعراني: وأما ما اختلفوا فيه فمن ذلك قول الإمام الشافعي وأحمد إن الصعيد الطيب في الآية هو التراب، فلا يجوز التيمم إلا بتراب طاهر أو برمل فيه غبار، مع قول أبي حنيفة ومالك: الصعيد هو نفس الأرض فيجوز التيمم بجميع أجزاء الأرض ولو بحجر لا تراب عليه ولا رمل ولا غبار فيه، وزاد مالك فقال: إنه يجوز التيمم بما اتصل بالأرض كالنبات .

فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ[(١)] ثُمَّ سَارَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَاشْتَكَى إِلَيْه النَّاسُ من الْعَطَشِ فَنَزَلَ وَدَعَا عَلِيًّا ورجلا آخر[(٢)] فَقَالَ اذْهَبَا فَابْتَغِيَا[(٣)] الْمَاءَ. فَانْطَلَقَا فَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ[(٤)] أَوْ سَطِيحَتَيْنِ[(٥)] منْ مَاء عَلَى بَعِيرٍ لَهَا فَقَالا لَهَا أَيْنَ الْمَاءُ؟ فَقَالَتْ عَهْدي بِالْمَاء أَمْسِ هَذه السَّاعَةَ وَنَفَرُنَا[(٦)] خُلُوفٌ فَقَالا لَهَا انْطَلقي إذًا قَالَتْ إِلَى أَيْنَ؟ قَالا إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. قَالَتْ هَذَا الَّذي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ[(٧)] قَالا هُوَ

---

(١) قوله فإنه يكفيك: أي لإباحة صلاة الفرض الواحد مع النوافل أو لإباحة الصلاة مطلقاً ما لم تحدث قال ابن هبيرة: أجمعوا على أنه إذا تيمم لفريضة صلاها ثم النوافل، وقضى الفوائت إلى أن يدخل وقت الصلاة الأخرى إلا مالكاً والشافعي فإنهما قالا: يصليها والنوافل خاصة ولا يقضي بذلك التيمم الفوائت بل يكون لكل فريضة تيمم لأنه لا يصلي بتيمم أكثر من فريضة واحدة .

(٢) هو عمران بن الحصين كما صرحت به رواية مسلم.

(٣) ابتغيا: من الابتغاء والمراد الطلب يقال ابتغ الشيء أي تطلبه، وأبغني الشيء أي اطلب لي، وفيه الجري على العادة في طلب الماء وغيره دون الوقوف عند خرقها وأن التسبب في ذلك غير قادح في التوكل .

(٤) مزادتين: تثنية مزادة بفتح الميم والزاي: الرَّاوية أو القربة الكبيرة وسميت بذلك لأنه يزاد فيها جلد آخر من غيرها .

(٥) سطيحتين: تثنية سطيحة بمعنى المزادة أو وعاء من جلدين سطح أحدهما على الآخر.

(٦) أمس هذه الساعة: أمس في مثل هذه الساعة .

النفر: رهط الإنسان وعشيرته، وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه ومعنى قولها ونفرنا خلوف والمراد أن رجالها غابوا من الحي .

(٧) الصابئ: من صبأ صبوا : أي خرج من دين إلى آخر.

الَّذي تَعْنينَ[١] فَانْطَلِقي. قال فَجَاءَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعيرِهَا وَدَعَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فيه مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ أَوِ السَّطِيحَتَيْنِ وَأَوْكَأَ[٢] أَفْوَاهَهُمَا فَأَطْلَقَ الْعَزَالِي[٣] وَنُودِيَ في النَّاسِ اسْقُوا وَاسْتَقُوا فَسَقَى مَنْ سقى وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَكَانَ آخرُ ذَلكَ أَنْ أَعْطَى الَّذي أَصَابَتْهُ الْجَنَابَةُ إِنَاءً مِنْ مَاءٍ قَالَ اذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ. قَالَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا. قَالَ: وَايْمُ[٤] اللَّه لَقَدْ أَقْلَعَ[٥] عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلأَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا[٦]. فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْمَعُوا لَهَا[٧].

---

(١) قولهما "هو الذي تعنين" فيه أدب حسن، لأهما لو قالا: (لا) لفات المقصود، ولو قالا: (نعم) لكان فيه تقرير لكونه عليه السلام صابئاً، فتخلصا هذا اللفظ وأشارا إلى ذاته الشريفة لا إلى تسميتها.

(٢) أوكأ: أي ربط الوكاء: الرباط الذي تربط به القربة فيمنع ما فيها أن يخرج.

(٣) العزالي: بفتح العين والزاي وكسر اللام: جمع عزلاء بإسكان الزاي والمد: فم المزادتين الأسفل وهي عروقها التي يخرج منها الماء بسعة، ولكل مزاده عزلاوان من أسفلها .

(٤) وأيم الله: أصله أيمن الله وهو اسم وضع للقسم ثم حذفت منه النون تخفيفاً.

(٥) أقلع: أي كف.

(٦) هذا من أعظم آياته، وباهر دلائل نبوته، حيث توضئوا وشربوا، وسقوا واغتسل الجنب، وملؤا كل قربة كانت معهم وبقيت المزادتان مملوأتين بل تخيل للصحابة أن ما بقى فيها من الماء أكثر مما كان أولا.

(٧) قوله ﷺ "اجمعوا لها" لعله تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن المسير إلى قومها وما نالها من مخافتها أخذ مائها لا أنه عوض عما أخذ من الماء . قال ابن حجر: فيه جواز الأخذ للمحتاج برضا المطلوب منه أو بغير رضاه إن تعين، وفيه جواز المعاطاة في مثل هذا من الهبات والإباحات من غير لفظ من المعطي والآخذ.

فَجَمَعَ لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسُوَيْقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعْلَمِينَ مَا رَزَأْنَاكِ مِنْ مَائِكِ شَيْئًا[١] وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ أَسْقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدِ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ فَقَالُوا مَا حَبَسَكِ يَا فُلانَةُ؟ فَقَالَتْ: الْعَجَبُ- لَقِيَنِي رَجُلانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ فَفَعَلَ بِمَائِي كَذَا. وَكَذَا فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ- قَالَتْ بِأُصْبُعَيْهَا[٢] الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ تَعْنِي السَّمَاءَ وَالأَرْضَ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقًّا[٣]. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدُ يُغِيرُونَ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ[٤] الَّذِي هِيَ مِنْهُ. فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا مَا أَرَى أَنَّ

---

(١) قوله "مارزأنا من مائك شيء" أي ما نقصنا منه شيئاً ولا أخذنا وظاهره أن جميع ما أخذوه من الماء مما زاده الله تعالى وأوجده وأنه لم يختلط فيه شيء من مائها في الحقيقة، وإن كان في الظاهر مختلطا وهذا أبدع وأغرب في المعجزة، وهو ظاهر قوله ولكن الله هو الذي أسقانا، ويحتمل أن يكون المراد ما نقصنا من مقدار مائك شيئا، واستدل بهذا على جواز استعمال أواني المشركين ما لم يتيقن فيها النجاسة وفيه إشارة إلى أن الذي أعطاها ليس على سبيل العوض عن مائها بل على سبيل التكرم والتفضل.

(٢) وقالت بأصبعيها: أي أشارت بإصبعيها وهو من إطلاق القول على الفعل.

(٣) أي أنه لا يخلو من أمرين: إما أن يكون أسحر شخص موجود بين السماء والأرض، أو يكون نبيا ورسولاً صادقا في نبوته ورسالته، لأن هذه الخوارق إما أن تكون سحراً أو معجزة.

(٤) الصرم: بكسر الصاد وسكون الراء: النفر يترلون بأهليهم ناحية على ماء أو أبيات من الناس مجتمعة، وإنما لم يغيروا عليهم وهم كفرة للطمع في إسلامهم بسببها أو لرعاية ذممها.

هَؤُلاءِ الْقَوْمَ يَدَعُونَكُمْ عَمْدًا[1] فَهَلْ لَكُمْ فِي الإِسْلامِ فَأَطَاعُوهَا فَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ" . متفق عليه [2].

---

(١) المعنى: أن هؤلاء تركونا عمداً لا غفلة ولا نسيانا ولا خوفاً منكم بل مراعاة لما سبق بيني وبينهم تعظيماً للجميل ووفاء للصحبة وهذه الغاية في مراعاة الصحبة اليسيرة وكان هذا سببا لرغبتهم في الإسلام .

(٢) صحيح البخاري كتاب التيمم باب الصعيد الطيب ، وضوء المسلم يكفيه عن الماء حديث رقم ٣٤٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة الغائبة.

ويستفاد من القصة: ١- معجزة النبي ﷺ التي تجلت في تكاثر الماء حتى شرب منه الجيش كله. ٢- مشروعية التيمم للجنب. ٣- اجتهاد الصحابة بحضره النبي ﷺ .

٤- أن للعالم إذا رأي فعلا محتملاً أن يسأل فاعله عن الحال فيه ليوضح له وجه الصواب. ٥- التحريض على الصلاة في الجماعة، وأن ترك الشخص الصلاة بحضره المصلي معيب على فاعله بغير عذر. ٦- حسن الملاطفة والرفق في الإنكار. ٧- تقديم الصحبة وحفظ الجميل الذي يتضح من فعل الصحابة حيث كانوا يغيرون على من حولها ولا يغيرون على قومها.

ومن معجزاته ﷺ يقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين

من يبتغي عَدّ آي المصطفى العلم — وكله آية في الفصل في الكلم

في الوصل في الهجر في ضيق وفي سعة — في الأخذ. في الرد. في حرب. وفي سلم

في العفو في الأخذ في حلم وفي غضب — في الزهد. في الجود في الإيفاء بالذمم

جمت خوارقه جلت خلائقه — نارت طرائقه في حالك الظلم

رقت رقائقه فاحت عوابقه — شاقت شوائقه ، لله ذو الهمم

ومن أراد المزيد فعليه الرجوع إلى كتاب بشرى العاشقين ص ٢٩.

٩- العباس والمال

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ[١] فَقَالَ: انْثُرُوهُ[٢] فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى الصَّلاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَ الْعَبَّاسُ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلا[٣]. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ خُذْ فَحَثَا[٤] فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ[٥] فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ قَالَ: لا. قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ قَالَ لا[٦] فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فلم يستطع فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ عليَّ قَالَ: لا. قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ قَالَ: لا. فَنَثَرَ مِنْهُ ثم احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِله[٧] ثُمَّ انْطَلَقَ فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٨] وَثَمَّ مِنْهَا

---

(١) كان هذا المال مائة ألف. قال ابن حجر أرسل به العلاء بن الحضرمي من خراج البحرين وهو أول خراج حمل إلى النبي ﷺ وكان صالح أهل البحرين عليه .

(٢) انثروه: أي صبوه في المسجد.

(٣) وفاديت عقيلا: أي ابن أبي طالب وكان أسر مع عمه العباس في غزوة بدر أي فقد غرمت مالاً لجهة المسلمين فينبغي مواساتي.

(٤) فحثا: من الحثية وهي ملء حمْله.

(٥) يقله: من الإقلال وهو الرفع والحمل يقال: أقل الشيء يقله إذا رفعه وحمله.

(٦) إنما فعل ﷺ ذلك تنبيها له على الاقتصار وترك الاستكثار من المال.

(٧) كاهله: أي بين كتفيه.

(٨) أي من ذلك المجلس.

دِرْهَمٌ[1]." أخرجه البخاري [2] .

---

(١) وثم منها درهم: أي وهناك من الدراهم درهم والجملة حالية ومـــراده نفـــي أن يكون هناك درهم، فالحال قيد للمنفي لا للنفي فالمجموع منتف بانتفاء القيـــد، لانتفاء المقيد، وإن كان ظاهره نفي القيام حالة ثبوت الدراهم.

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب القسمه وتعليق القنو في المسجد رقم ٤٢١.

وفي الحديث من الفوائد:

١- بيان كرم النبي ﷺ وعدم التفاته إلى المال قل أو كثر.

٢- أن الإمام ينبغي له أن يفرق مال المصالح في مستحقيها ولا يؤخره.

٣- جواز وضع ما يشترك المسلمون فيه من صدقة ونحوها في المسجد وحمله.

٤- جواز وضع ما يعم نفعه في المسجد كالماء لشرب من يعطش ونحوه.

قال شيخنا الخطيب في ديوان الرباعيات

زرعت الـــود في كـــل القلـــوب   بمـــا أولاك عـــلام الغيـــوب

من الآداب والكـــرم والعجيـــب   ومن حلـــم وعلـــم واحتشـــام

١٠- الوليدة[١] والوشاح[٢] الأحمر

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ وَلِيدَةً كَانَتْ سَوْدَاءَ لِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ فَأَعْتَقُوهَا فَكَانَتْ مَعَهُمْ[٣] قَالَتْ: فَخَرَجَتْ صَبِيَّةٌ لَهُمْ[٤] عَلَيْهَا وِشَاحٌ أَحْمَرُ مِنْ سُيُورٍ قَالَتْ فَوَضَعَتْهُ أَوْ وَقَعَ مِنْهَا فَمَرَّتْ بِهِ حُدَيَّاةٌ[٥] وَهُوَ مُلْقًى فَحَسِبَتْهُ لَحْمًا[٦] فَخَطَفَتْهُ. قَالَتْ فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ. قَالَتْ: فَاتَّهَمُونِي بِهِ. قَالَتْ فَطَفِقُوا يُفَتِّشُونَ حَتَّى فَتَّشُوا قُبُلَهَا[٧]. قَالَتْ:

---

(١) الوليدة: بفتح الواو: الأمة، وهي في الأصل المولودة ساعة تولد، قاله ابن سِيدَهْ ثم أطلق على الأمة وإن كانت كبيرة .

(٢) الوشاح: شيء ينسج عريضا من أديم، وربما رُصع بالجواهر والخرز، تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها.

(٣) فكانت معهم: أي مصاحبة لهم في البيت .

(٤) فخرجت صبية لهم: أي لهؤلاء الحي وكانت الصبية عروساً فدخلت مغتسلها. قال ابن حجر: القائلة ذلك هي الوليدة المذكورة، وقد روت عنها عائشة هذه القصة والبيت الذي أنشدته ولم يذكرها أحد ممن صنف في رواة البخاري، ولا وقفت على اسمها ولا على اسم القبيلة التي كانت لهم، ولا على اسم الصَّبية صاحبة الوشاح.

(٥) حدياة: بضم الحاء وفتح الدال وتشديد الياء، تصغير حدأة وهي الطائر المعروف المأذون بقتله في الحل والحرم. والأصل في تصغيرها حديأة بسكون الياء وفتح الهمزة لكن سهلت الهمزة وأدغمت ثم أشبعت الفتحة فصارت ألفا.

(٦) فحسبته لحما: لأنه كان من جلد أحمر وعليه اللؤلؤ.

(٧) في قبلها: أي فرجها، وعبر بضمير الغيبة لأنه من كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وإلا فمقتضى السياق أن تقول قبلي، أو هو من كلام الوليدة على طريقة الالتفات والتجريد كأنها جَرَّدَتْ من نفسها شخصا وأخبرت عنه.

وَاللَّه إِنِّي لَقَائِمَةٌ مَعَهُمْ[١] إِذْ مَرَّت الْحُدَيَّاةُ فَأَلْقَتْهُ. قَالَتْ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ. قَالَتْ فَقُلْتُ: هَذَا الَّذي اتَّهَمْتُمُوني به، زَعَمْتُمْ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيئَةٌ وَهُوَ ذَا هُوَ[٢]. قَالَتْ: فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَتْ. قَالَتْ عَائشَةُ: فَكَانَ لَهَا خبَاءٌ في الْمَسْجد أَوْ حفْشٌ[٣]. قَالَتْ: فَكَانَتْ تَأْتيني فَتَحَدَّثُ عنْدي. قَالَتْ: فَلا تَجْلسُ عنْدي مَجْلسًا إلا قَالَتْ

وَيَوْمَ الْوِشَاحِ مِنْ أَعَاجِيبِ[٤] رَبِّنَا ... أَلا إِنَّهُ مِنْ بَلْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانِي[٥]

قَالَتْ عَائشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا مَا شَأْنُك لا تَقْعُدِينَ مَعِي مَقْعَدًا إِلا قُلْتِ هَذَا. قَالَتْ: فَحَدَّثَتْنِي بِهَذَا الْحَدِيث. أخرجه البخاري [٦].

---

(١) زاد ثابت في دلائلة: فدعوت الله أن يبرأني.

(٢) وهو ذا هو: والضمير الأول ضمير الشأن، وذا مبتدأ، والإشارة إلى ما ألقته الحدياة، الضمير الثاني إلى الذي اهمتموني به، لكن خبر الثاني محذوف أي حاضر.

(٣) الخباء: بكسر الخاء خيمة من صوف أو وبر في المسجد النبوي، والحفش بكسر الحاء. البيت الصغير القريب السمك سمي به لضيقه.

(٤) جمع أعجوبة قال الزركشي لا واحد له من لفظه ومعناه عجائب.

(٥) ومعنى البيت أن الفتنة والتي تعرضت لها الوليدة من إيذائها واتهامها كانت سببا في إسلامها وهجرتها، وكان الوشاح سبباً في نجاتها وكان يوم الوشاح من الأعاجيب، لأن ما وقع فيه من اختطاف الحدأة للوشاح واتهامها به من أعاجيب الزمان وغرائب الأيام وكان من نعم الله عليها حيث كان نقطة تحول في حياتها وسببا في نجاتها من دار الكفر إلى دار الإسلام.

(٦) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب نوم المرأة في المسجد حديث رقم ٤٣٩.

وفي القصة من الفوائد:-

١- إباحة المبيت والمقيل في المسجد لمن لا مسكن له من المسلمين رجلا كان أو امرأة عند أمن الفتنة.

٢- إباحة الاستظلال في المسجد بالخيمة ونحوها.

٣- إباحة الخروج من البلد الذي يحصل للمرء فيه المحنة ولعله يتحول إلى ما هو خير منه.

٤- فضل الهجرة من دار الكفر.

٥- إجابة دعوة المظلوم ولو كان كافراً .

قال شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه الرباعيات

صراط الله سنتك السنيه ... لسالكها المبرات السنية

فكم نفست عنا من بليه ... وكم أنقذت من داء عقام

١١- أبو بكر ﷺ وأهل الصفة[١] رضي الله عنهم

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ[٢] وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَرَةٍ. قَالَ: فَهُوَ أَنَا وَأَبِي وَأُمِّي. فَلا أَدْرِي قَالَ وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى[٣] عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ[٤]. قَالَ: أَوَ مَا عَشَّيْتِيهِمْ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ[٥] قَدْ عُرِضُوا[٦] فَأَبَوْا. قَالَ فَذَهَبْتُ أَنَا

---

(١) أهل الصفة: هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم مترل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه.

(٢) المراد أن من كان عنده طعام خمسة فليذهب بسادس فهو من عطف جمله على جملة وفيه حذف حرف الجر وإبقاء عمله، ويجوز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكلمة أو للتنوع، والحكمة في كونه يزيد كل واحد واحداً فقط أن عيشهم في ذلك الوقت لم يكن متسعا فمن كان عنده مثلا ثلاثة أنفس لا يضيق عليه أن يطعم الرابع من قوقم وكذا الأربعة فما فوقها، أو للإباحة واستنبط منه أن السلطان يفرق في المسغبة الفقراء على أهل السعة بقدر ما لا يجحف بهم .

(٣) تعشى: أي أكل العشاء وهو طعام آخر الليل.

(٤) بالأفراد مع كونهم ثلاثة لإرادة الجنس.

(٥) أبو: أي امتنعوا عن الأكل.

(٦) عرضوا: بضم العين وكسر الراء، أي عرض الطعام على الأضياف، وفي رواية بفتح العين أي عرض الأهل من الولد والمرأة والخادم على الأضياف الطعام .

فَاخْتَبَأْتُ[١]. فَقَالَ يَا غُنْثَرُ[٢] فَجَدَّعَ وَسَبَّ[٣] وَقَالَ كُلُوا لا هَنِيئًا[٤]. فَقَالَ: وَاللَّهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، وَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا– قَالَ حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ[٥] مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي[٦] لَهِيَ الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاثِ مَرَّاتٍ فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ يَعْنِي يَمِينَهُ[٧] ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً[٨] ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ

(١) فاختبأت: أي خوفاً من أبي وشتمه.

(٢) الغُنثر: قيل هو الثقيل ، وقيل: الجاهل من الغثارة: الجهل

(٣) فجدع: أي دعا على ولده بالجدع وهو قطع الأذن والأنف أو الشفة.
وسب: أي ولده ظانا منه أنه فرط في حق الأضياف.

(٤) كلوا لا هنيئاً: قال أبو بكر هذا لما تبين له أن التأخير منهم تأدباً لهم لأنهم تحكموا على رب المترل بالحضور معهم و لم يكتفوا بولده مع إذنه لهم في ذلك أو هو خبر أي أنكم لم تتهنوا بالطعام في وقته وهذا ينبغي الحمل عليه.

(٥) يا أخت بني فراس: بكسر الفاء وتخفيف الراء أي يا من هي من بني فراس وقد اختلف في نسبها اختلافا كثيراً.

(٦) لا وقرة عيني: أي وحق قرة عيني ﷺ وفيه الحلف بالمخلوق أو المراد وخالق قرة عيني، أو لفظة لا زائدة وقرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان، لأن العين تقر ببلوغ الأمنية وقرة العين: بردها، ثم كني به عن المسرة وذلك لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة والمعنى وحق الذي أُسَرُّ عند رؤيته وقيل معنى قولهم هو قرة عيني: هو رضى نفسي .

(٧) يعني يمينه وهي قوله: والله لا أطعمه أبداً فأخره بالحنث الذي هو خير أو المراد لا أطعمه معكم، أو في هذه الساعة أو عند الغضب .

(٨) ثم أكل منها لقمة: أي لقمة أخرى لتطييب قلوب أضيافه وتأكيداً لدفع الوحشة.

صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ فَمَضَى الأَجَلُ فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا[١] مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ أَوْ كَمَا قَالَ". متفق عليه[٢].

---

(١) ففرقنا اثنى عشر رجلا: أي ميزنا اثنى عشر رجلاً لنجعلهم عرفاء على غيرهم.

(٢) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب السمر على الضيف حديث رقم ٦٠٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأشربة باب إكرام الضيف .

وفي الحديث :

- التجاء الفقراء إلى المساجد عند الاحتياج إلى المواساة إذا لم يكن إلحاح ولا إلحاف ولا تشويش على المصلين وفيه استحباب مواساقم.
- وفيه جواز الغياب عن الأهل والولد والضيف إذا عدت لهم الكفاية .
- وفيه تصرف المرأة فيما تقدم للضيف والإطعام بغير إذن خاص من الرجل .
- وفيه جواز سب الوالد للولد على وجه التأديب والتمرين على أعمال الخير وتعاطيه .
- وفيه جواز الحلف على ترك المباح .
- وفيه توكيد الرجل الصادق لخبره بالقسم وجواز الحنث بعد عقد اليمين.
- وفيه التبرك بطعام الأولياء والصلحاء .
- وفيه عرض الطعام الذي تظهر فيه البركة على الكبار وقبولهم ذلك .
- وفيه العمل بالظن الغالب؛ لأن أبا بكر ظن أن عبد الرحمن فرط في أمر الأضياف فبادر إلى سبه وقوي القرينة عنده اختباؤه منه .
- وفيه ما يقع من لطف الله بأوليائه وذلك أن خاطر أبي بكر تشوش وكذلك ولده وأهله وأضيافه بسبب امتناعهم من الأكل وتكدر خاطر أبي بكر من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم من ذكره من الحرج بالحلف وبالحنث وبغير ذلك فتداركه الله في ذلك ورفعه عنه بالكرامة التي أبداها من البركة في الطعام فانقلب ذلك الكدر صفاء والنكد سروراً ولله الحمد والمنة .

- ظهر أن تمام البركة في الطعام المذكور كانت عند النبي ﷺ ؛ لأن جميع الجيش أكلوا من تلك الجفنة التي أرسلها أبو بكر.

قال شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث تحت عنوان أبو بكر ﷺ

وعلى خليفته فسلم ذاكراً ... ما كان للصديق نحو هداكا

يا ملجأ في النائبات وواصلا ... رحماً وللأضياف ما أقراكا

يا منفقاً في الدين كل طريفة ... وتليدة قد فزت في مسعاكا

وثبت في الإسرا وكنت لسره ... كنزاً ومن أعداه ما أوقاكا

وصحبته في هجرة وثبت إذ ... طاش الرجال مغادراً دنياكا

نصر الحنيف وما ونى في نصره ... وإليه رد من ابتغى إشراكا

فله يد في جيد كل موحد ... فجزاه خير جزائه مولاكا

١٢- منع الشياطين من خبر السماء

عَنْ ابن عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي طَائِفَة [١] مِنْ أَصْحَابِه عَامِدِينَ إِلَى سُوق عُكَاظ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاء وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ[٢] فَرَجَعَت الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاء، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ بِنَخْلَةَ[٣] عَامِدِينَ إِلَى سُوق عُكَاظ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِه صَلاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ[٤] فَقَالُوا هَذَا وَاللَّه الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاء فَهُنَالِكَ[٥] حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا[٦] يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِه

((١) الطائفة : الجماعة من الناس ، وتقع على الواحد كأنه أراد نفسا طائفة وسئل إسحاق بن راهويه عنها فقال : الطائفة دون الألف .

(٢) الشهب : بضم الشين جمع شهاب وهو في الأصل. الشعلة من النار . والمراد به الذي ينْقَضُّ في الليل شبه الكوكب والشهب أيضاً النجوم السبعة المعروفة بالدَّراري ، وفي حديث استراق السمع فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها يعني الكلمة المسترقة.

(٣) نخلة : موضع على ليلة من مكة .

(٤) أي قصدوه وصغوا إليه ؛ لأنه ﷺ كان يجهر به في صلاة الصبح .

(٥) ظرف مكان .

(٦) أي بديعاً مبيناً لسائر الكتب من حسن نظمه وسعة معانية وهو مصدر وصف به للمبالغة .

وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) (١) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ (٢) " رواه البخاري ومسلم والترمذي وزاد :" لما رأى الجنُّ النبي ﷺ وأصحابه يصلون بصلاته ويسجدون بسجوده تعجبوا من طواعية أصحابه له وقالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا" (٣) .

---

(١) آية رقم ١ من سورة الجن .

(٢) أي الذي في القصة ، ومقتضى الحديث بيّن أن الحيلولة بين الشياطين وخبر السماء حدثت بعد نبوة نبينا سيدنا محمد ﷺ ولذا أنكرته الشياطين وضربوا مشارق الأرض ومغاربها ليعرفوا خبره ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب حتى قطع بين الشياطين وخبر السماء ورميت بالشهب فكان رميها من دلائل نبوته ﷺ .

(٣) صحيح البخاري أبواب صفة الصلاة حديث رقم ٧٧٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح ، سنن الترمذي كتاب التفسير.

قال شيخنا الخطيب رضي الله عنه

وحاذر خطى الشيطان فهو برحمة	يغرك حتى تهتك الحرمات
فتغضب رباً ما أشد عقابه	لعاص وبالأبرار ذو رحمات

بشرى العاشقين ص ٦٢ .

١٣- سعد ودعوته المجابة

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ[١] سَعْدًا [٢] إِلَى عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْه [٣] فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا [٤] فَشَكَوْا [٥] حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي [٦] فَأَرْسَلَ إِلَيْه فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ: أَمَّا أَنَا[٧] وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه

---

(١) في قوله " أهل الكوفة " مجاز وهو من إطلاق الكل على البعض لأن الذين شكوه بعض أهل الكوفة لا كلهم .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص واسم وقاص مالك بن أهيب .

(٣) كان عمر بن الخطاب ﷺ أمّر سعد بن أبي وقاص على قتال الفرس في سنة أربع عشرة ففتح الله العراق على يديه ثم اختط الكوفة سنة سبع عشرة، واستمر عليها أميراً إلى سنة إحدى وعشرين " وعند الطبراني" سنة عشرين فوقع له من أهل الكوفة ما ذكر فعزله عمرﷺ .

(٤) هو عمار بن ياسر. جاء في الفتح: استعمل عماراً على الصلاة ، وابن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض وكان تخصيص عمار بالذكر لوقوع التصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشكوى .

(٥) فشكوا : الفاء تفسيرية عاطفة على قوله شكى عطف تفسير.

(٦) ظاهره أن جهات الشكوى كانت متعددة ومنها قصة الصلاة، وصرح بذلك في رواية ابن عون. فقال عمر: لقد شكوك في كل شيء حتى في الصلاة. وقال الزبير بن بكار : رفع أهل الكوفة عليه أشياء كشفها عمر فوجدها باطلة ، ويؤيده قول عمر في وصيته فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة.

(٧) أما بتشديد الميم للتقسيم : والقسيم هنا محذوف تقديره وأما هم فقالوا ما قالوا وأما أنا والله - وفيه القسم في الخبر لتأكيده في نفس السامع وجواب القسم محذوف يدل عليه قوله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا[١]، أُصَلِّي صَلاةَ الْعِشَاء فَأَرْكُدُ فِـي الأُولَيَـيْنِ[٢] وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ. قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ[٣] يَا أَبَا إِسْحَاقَ- فَأَرْسَـلَ مَعَـهُ رَجُلا أَوْ رِجَالا إِلَى الْكُوفَةِ- فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْـجِدًا إِلا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ[٤] فَقَامَ رَجُلٌ مِـنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ [٥] وَلا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ [٦] وَلا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ[٧]. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاثٍ اللهم إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً[٨]

---

(١) أخرم : أي أنقص عنها .

(٢) أركد : أطول القيام .

(٣) أي هذا الذي تقول هو الذي كنا نظنه يا أبا إسحاق وفيه دلالة على أن الـذين شكوه لم يكونوا من أهل العلم ، وكأنهم ظنوا مشروعية التسوية بين الركعـات فأنكروا على سعد التفرقة فيستفاد منه ذم القول بالرأي الـذي لا يسـتند إلى أصل، وفيه أن القياس في مقابلة النص فاسد الاعتبار .

(٤) بني عبس : قبيلة كبيرة من قيس .

(٥) السرية : القطعة من الجيش والباء للمصاحبة أي لا يخرج بنفسه معها في الغـزو وفيه نفي عنه الشجاعة التي هي كمال القوة الغضبية .

(٦) لا يقسم بالسوية : أي يجور في قسمته الأموال وهذا نفي للعفة التي هي كمـال القوة الشهوانية .

(٧) ولا يعدل في القضية : أي الحكومة والقضاء وفي رواية ولا يعدل في الرعية فنفى عنه الحكمة التي هي كمال القوة العقلية ، وفيه سلب للعدل عنه بالكلية وهـو قدح في الدين .

(٨) علق الدعاء : بشرط كذبه أو كون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي فراعى الإنصاف والعدل ﷺ .

فَأَطِلْ عُمْرَهُ(١) وَأَطِلْ فَقْرَهُ(٢) وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ(٣) وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قَالَ الرَّاوِي عَنْ جَابِرٍ(٤) فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ(٥) وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ"(٦).

---

(١) فأطل عمره : أي بحيث يرد إلى أسفل السافلين ويصير إلى أرذل العمر وتضعف قواه ويتنكس في الخلق فهو دعاء عليه لا له .

(٢) وأطل فقره : وفي نسخة وأقلل رزقه ، وفي أخرى وأكثر عياله وهذه الحالة بئست الحالة وهو طول العمر مع الفقر وكثرةالعيال.

قال الزين بن المنير : في الدعوات الثلاث مناسبة للحال أما طول عمره فليراه من سمع بأمره فيعلم كرامة سعد ، وأما طول فقره فلنقيض مطلوبه؛ لأن حاله يشعر بأنه طلب أمراً دنيوياً ، وأما تعرضه للفتن فلكونه قام فيها ورضيها دون أهل البلد .

(٣) وعرضه للفتن : أي اجعله عرضة لها .وإنما ساغ لسعد أن يدعو على أخيه المسلم بهذه الدعوات ؛ لأنه ظلمه بالافتراء عليه ، والمظلوم يجوز له الدعاء على من ظلمه . وإنما ثلث عليه الدعوة ؛ لأنه نفى عنه الفضائل الثلاث وهي الشجاعة ، والعفة ، والحكمة- التي هي أصول الفضائل - والثلاث تتعلق بالنفس والمال والدين فقابلها بمثلها فبالنفس طول العمر ، وبالمال الفقر، وبالدين الوقوع في الفتن .

(٤) هو عبد الملك بن عمير .

(٥) أي شعرهما.

(٦) يغمزهن : أي يعصر أعضاءهن بأصابعه ،وفيه إشارة إلى الفتنة والفقر إذ لو كان غنياً لما احتاج إلى ذلك ، وفي رواية فعمي واجتمع عنده عشر بنات ، وكان إذا سمع بحس المرأة تشبث بها ، فإذا أنكر عليه قال : دعوة المبارك سعد . وكان سعد معروفا بإجابة الدعوة ؛ لأنه ﷺ دعا له فقال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك .

رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري[١].

---

(١) صحيح البخاري- كتاب الصلاة- باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة حديث رقم ٧٥٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب القراءة في الظهر والعصر .

ويؤخذ من الحديث : ١ - أن من سعى به من الولاة يسأل عنه في موضع عمله أهل الفضل .

٢ – أن الإمام يعزل من شُكي وإن كذب عليه إذا رآه مصلحة . قال الإمام مالك : وقد عزل عمر سعداً وهو أعدل ممن يأتي بعده إلى يوم القيامة .

٣ – استفسار العامل عما قيل فيه .

٤ – السؤال عن عدالة الشاهد يكون ممن يجاوره .

٥ – خطاب الرجل الجليل القدر بكنيته .

٦ – جواز الدعاء على الظالم .

قال شيخنا الخطيب

عبـدي إذا طـاوعتني ألفيـتني ... وغدوت لي عبداً أجيب دعـاه

ومتى تقل للشيء كـن فبقـدرتي ... ومعونتي كـان الـذي تهـواه

مجامع الأنوار ص ٧ .

١٤- وفاة أبي طالب

عَنْ الْمُسَيَّب [١] بن حَزْن [٢] ﷺ عَنْ أبيه قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالب الْوَفَاةُ[٣] جَاءَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بن هشام[٤] وَعَبْدَاللَّه بْنَ أَبي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغيرَة[٥] فَقَالَ: أَيْ عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ كَلمَةً أشهد لَكَ بهَا عنْدَ اللَّه. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُاللَّه بْنُ أَبي أُمَيَّةَ: يا أبا طالب أَتَرْغَبُ[٦] عَنْ ملَّة عَبْدالْمُطَّلب؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْه وَيَعُودَان بتلْكَ الْمَقَالَة حَتَّى قَالَ أَبُو طَالب آخرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى ملَّة عَبْدالْمُطَّلب[٧] وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ فقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: وَاللَّه لأَسْتَغْفرَنَّ لَكَ[٨] مَا لَمْ

---

(١) المسيب : والد سعيد التابعي المشهور المتفق على أن مراسيله أصح المراسيل.

(٢) حزن بفتح الحاء وسكون الزاي هو وابنه صحابيان هاجرا إلى المدينة.

(٣) لما حضرت أبا طالب الوفاة : أي علامتها قبل النزع وإلا لما كان ينفعه الإيمان لو آمن ، ولهذا كان ما وقع بينهم وبينه من المراجعة قاله الكرماني، وقال ابن حجر: يحتمل أن يكون انتهى إلى النزع لكن رجا النبي ﷺ أنه إذا أقر بالتوحيد ولو في تلك الحالة أن ذلك ينفعه بخصوصه ، ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره.

(٤) مات على كفره .

(٥) عبد الله بن أمية أخو أم سلمة وكان شديد العداوة للنبي ﷺ ثم أسلم عام الفتح .

(٦) أترغب بهمزة الاستفهام الإنكاري أي أتعرض .

(٧) أراد بقوله هو نفسه أوقال أنا فغيره الراوي أنفة أن يحكي كلامه استقباحاً للفظ المذكور وهو من التصرفات الحسنة .

(٨) أي كما استغفر إبراهيم لأبيه .

أَنْهَ عَنْكَ[١] فَأَنْزَلَ اللَّهُ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)[٢] رواه البخاري [٣].

---

(١) وفي رواية عنه أي عن الاستغفار الدال عليه قوله لأستغفرن لك .

٢) الآية رقم ١١٣ سورة التوبة .

(٣) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله رقم ١٣٦٠.

ومما ذكره شيخنا الخطيب في كتابه غاية المطالب في جمع وشرح ديوان أبي طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر بذاك وقرّ منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وعرضت دينا قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا

١٥- الصائم المُجامع في رمضان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ[١] إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه هَلَكْتُ [٢] !! قَالَ: مَالَكَ؟ قَالَ :وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا[٣]؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا[٤] ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَما نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه

---

(١) فيه حسن الأدب في التعبير لما تشعر به العندية بالتعظيم ، بخلاف ما لو قال مع .

(٢) هلكت : أي فعلت ما هو سبب لهلاكي وهلاك غيري وهو زوجته التي وطئها في نهار رمضان ، واستدل به على أنه كان عامداً لأن الهلاك مجاز عن العصيان المؤدي إلى ذلك ، فكأنه جعل المتوقع كالواقع وبالغ فيه فعبر عنه بلفظ الماضي ، وعلى هذا ليس فيه حجة على وجوب الكفارة على الناسي.

(٣) المراد : الوجود الشرعي ليدخل فيه القدرة بالشراء ونحوه .

(٤) الحكمة في ترتيب هذه الكفارة على ما ذكر : أن من انتهك حرمة الصوم بالجماع فقد أهلك نفسه. فناسب أن يعتق رقبة فيفدي نفسه وقد صح في الحديث: " من أعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار"، وأما الصيام فإنه كالمقاصة بجنس الجناية وكونه شهرين ؛ لأنه لما أمر بمثابرة النفس في حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء ، فلما أفسد منه يوما كان كمن أفسد الشهر كله ، من حيث أنه عبادة واحدة بالنوع فكلف بشهرين مضاعفة على سبيل المقابلة لنقيض قصده ، وأما الإطعام فمناسبته ظاهرة ؛ لأنه مقابل كل يوم إطعام مسكين .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ[1] قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ: أَنَا. قَالَ: خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا- يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ[2]- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ[3] ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ [4] " رواه البخاري ومسلم[5].

---

(١) المكتل : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعاً . قال القاضي عياض : المكتل والقفة والزنبيل سواء .

(٢) تثنية حرة : أرض ذات حجارة سود ، والضمير في لابتيها للمدينة إذ هي بين حرتين عظيمتين في شرقها وغربها .

(٣) فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه: تعجباً من حال الرجل في كونه جاء خائفاً على نفسه راغباً في فدائها مهما أمكنه فلما وجد الرخصة طمع أن يأكل ما أعطيه من الكفارة . والأنياب جمع ناب ، وهي الأسنان الملاصقة للرباعيات وهي أربع .

(٤) أطعمه أهلك : أي من تلزمك نفقته أو زوجتك أو مطلق أقاربك.

(٥) صحيح البخاري كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان رقم ١٩٣٦ ج ١ ص ٣٣١ . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم.

ويستفاد من القصة:

١ — السؤال عن حكم ما يفعل الشخص مخالفاً للشرع لمصلحة معرفة الحكم .

٢ — استعمال الكناية فيما يستقبح ظهوره بصريح لفظه .

٣ — الرفق بالمتكلم ، والتلطف في التعليم .

٤ — الندم على المعصية واستشعار الخوف .

٥ — جواز الجلوس في المسجد لغير الصلاة من المصالح الدينية كنشر العلم وغير.

٦ – إخبار الرجل بما يقع منه مع أهله للحاجة .

٧ – قبول قول المكلف فيما لا يطلع عليه إلا من قبله لقوله ﷺ في جواب أفقر منا : أطعمه أهلك ويحتمل أن يكون هناك قرينة لصدقه .

٨ – من ارتكب معصية لا حد فيها وجاء مستغيثاً لا يعاقب .

٩ – وجوب الكفارة على من جامع عامداً جماعاً أفسد به صوم يوم من رمضان.

١٠– أن الكفارة عليه وحده دون الموطوءة ، وهو الأصح عند الشافعية والإمام أحمد ، وبه قال الأوزاعي وقال الجمهور تجب الكفارة على المرأة أيضاً .

١١ – وفيه التعاون على العبادة والسعي في تخليص المسلم .

١٢ – إعطاء الواحد فوق حاجته الراهنة .

١٣ – إعطاء الكفارة أهل بيت واحد .

١٤ – أن المضطر إلى ما بيده لا يجب عليه أن يعطيه أو بعضه لمضطر آخر .

قال شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه وحي الحديث

يا بؤس من قد أفطروه إذا رأوا	**نعمى الألى صاموه في عقباكا**
ورأوا جزاءهمو على إفطاره	**مما يشيب لهوله فوداكا**
حسبُ الألى صاموا رضاه وحسب من	**قد أفطروه السخط من مولاكا**

والفودان : ناحيتا الرأس . كل نتق فود والجمع أفواد .

١٦- سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ[١] ﷺ قَالَ: " آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاء، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاء فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاء مُتَبَذِّلَةً [٢] فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُك؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاء لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا [٣]. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاء فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ له: كُلْ. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ : فَأَكَلَ[٤]، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ

---

(١) أبو جحيفة : هو وهب بن عبد الله السوائي .

(٢) التبذل : ترك التزين ، والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة . ومعنى كونها متبذلة : أي لا بسة ثياب البذلة ، أي المهنة تاركة للباس الزينة .

(٣) أي وإنما به تفرغ لعمل الآخرة يصوم النهار ويقوم الليل جعلت هذه علة لتبذلها في ثيابها ؛ لأن زوجها لا يكاد يفرغ لها .

(٤) فيه أنه لا يجب إتمام صوم التطوع إذا شرع فيه ، لكن يكره له الخروج منه لظاهر قوله تعالى : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ وللخروج من خلاف من أوجب إتمامه إلا بعذر كمساعدة ضيف في الأكل إذا عز عليه امتناع مضيفه منه أو عكسه فلا يكره الخروج منه ، بل يستحب الحديث المذكور مع زيادة الترمذي " وإن لضيفك عليك حقاً " أما إذا لم يعز على أحدهما امتناع آخر من ذلك فالأفضل عدم خروجه منه إلا أنه يستحب قضاؤه، سواء خرج بعذر أو بغيره وهو مذهب الجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم .

وقال المالكية : يجب القضاء في صوم النفل بالفطر إذا كان عامداً فلا قضاء على من أفطر ناسياً ولا على من أفطر لعذر من مرض أو غيره فلو شرع في صوم النفل وجب عليه إتمامه وحرم عليه الفطر من غير عذر .

وقال الحنفية يلزمه القضاء مطلقاً أفسد عن قصد أو عن غير قصد .

ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ(١). قَالَ(٢): نَمْ. فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ. فَقَالَ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ. فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ(٣). فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَ سَلْمَانُ " أخرجه البخاري (٤).

---

(١) أي يصلي .

(٢) أي قال سلمان لأبي الدرداء .

(٣) زاد الدارقطني : فصم وافطر ونم وائت أهلك .

(٤) صحيح البخاري كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع. حديث رقم ١٩٦٨ .

ويستفاد من الحديث :

١ — مشروعية المؤاخاة في الله .

٢ — جواز مخاطبة الأجنبية للحاجة والسؤال عما تترتب عليه المصلحة .

٣ — النصح للمسلم وتنبيه من أغفل . ٤ — فضل قيام آخر الليل .

٥ — مشروعية تزين المرأة لزوجها وثبوت حق الزوج في المعاشرة .

٦ — جواز النهي عن المستحبات إذا خشى أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة والمندوبة .

٧ — كراهية الحمل على النفس في العبادة .

٨ — جواز الفطر في صوم التطوع وهو قول الجمهور.

قال شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه (وحي الحديث)

لا تبخلن على أخيك بعونه فالله عونك ما أعنت أخاكا

١٧- النبي ﷺ وصفية أم المؤمنين ورجلان من الأنصار

عن صَفِيَّةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِه فِي الْمَسْجد فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ [١] فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجد عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ[٢] فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا[٣] إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ. فَقَالَا : سُبْحَانَ اللَّه[٤] يَا رَسُولَ اللَّه وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا[٥]. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ [٦] وَإِنِّي

---

(١) تنقلب : أي تنصرف إلى مترلها .

(٢) قال ابن حجر : لم أقف على تسميتهما في شيء من كتب الحديث، إلا أن العطار قال في شرح العمدة : هما أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر.

(٣) على رسلكما : بكسر الراء وفتحها ، والكسر أفصح وأشهر أي على هيئتكما في المشي فليس هناك شيء تكرهانه.

(٤) سبحان الله : أي تتره الله عن أن يكون رسوله متهما بما لا ينبغي ، وكناية عن التعجب من هذا القول ، ، وفيه جواز التسبيح تعظيما للشيء وتعجباً منه وقد كثر هنا في الأحاديث وجاء به القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ﴾ .

(٥) أي عظم وشق عليهما ما قاله رسول الله ﷺ .

(٦) وعند مسلم " يجري من الإنسان مجرى الدم " قال القاضي عياض : قيل هو على ظاهره وأن الله جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه ، وقيل هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارق دمه ، وقيل يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب.

خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا [١] " رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري [٢].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: المحصل أن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان به سوءاً لما تقرر عنده من قوة إيمانهم ، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين فقد يمضي بهما ذلك إلى الهلاك فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة وتعليما لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك ، وقد روى الحاكم أن الشافعي كان في مجلس ابن عيينة فسأله عن هذا الحديث فقال الشافعي : إنما قال ﷺ لهما ذلك لأنه خاف عليهما الكفر إن ظنا به التهمة، فبادر إلى إعلامهما نصيحة لهما قبل أن يهلكا بقذف الشيطان في نفوسهما ما يهلكان به ، وفي طبقات العبادي سئل الشافعي رضي الله عنه عن خبر صفية فقال إنه على سبيل التعليم ، علمنا إذا حدثنا محارمنا ونساءنا على الطريق أن نقول هي محرمي حتى لا نتهم .

(٢) صحيح البخاري أبواب الاعتكاف حديث رقم ٢٠٣٥، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً.

ويستفاد من الحديث : ١ – كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم .

٢ – جواز زيارة المرأة لزوجها المعتكف .

٣ – جواز اشتغال المعتكف بالأمور المباحة من تشييع زائره والقيام معه والحديث مع غيره.

٤ – أن ظن السوء بالأنبياء كفر .

٥ – استحباب التحرز عن التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة . قال ابن دقيق العيد : وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدي به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن

كان لهم فيه مخلص ؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم .

٦ - الاحتياط من كيد الشيطان .

٧ – إباحة خلوة المعتكف بالزوجة .

٨ – جواز خروج المرأة ليلاً .

٩ – قول سبحان الله عند التعجب .

في ديوان رباعيات الخطيب :

حيـــاؤك بـــالغ وحيـــاك جـــم   وفي كـــل المعـــارف أنـــت يم
وفيـــك فطانـــة ولـــديك حلـــم   بـــه شـــهد الأحبـــة والعـــداء

١٨- جابر ﷺ وجمله

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزَاةٍ[١] فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا[٢]، فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: جَابِرٌ ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ ؟ قُلْتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِه[٣] ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ فَرَكِبْتُه فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٤]. قَالَ: تَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا[٥]. قَالَ: أَفَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ[٦] ؟ قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتُمَشِّطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ. قَالَ: أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ[٧]، ثُمَّ قَالَ: أَتَبِيعُ جَمَلَكَ ؟

---

(١) في غزاة : قيل هي ذات الرقاع كما في طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وابن سيد الناس وفي البخاري كانت غزوة تبوك.

(٢) أعيا : أي عجز عن السير أو كلّ يقال أعيى الرجل والبعير في المشي فهو معيى منقوص .

(٣) المحجن : بكسر الميم عصا فيها تعقف يلتقط بها الراكب ما سقط منه ..

(٤) أكفه : أمنعه .

(٥) هي سهيلة بنت مسعود الأويسية .

(٦) قوله : " تلاعبها وتلاعبك " تعليل للترغيب في البكر أو صفة لبكر أي ليكون بينكما كمال التألف والتأنيس فإن الثيب قد تكون معلقة القلب بالسابق. وفيه دليل على استحباب نكاح الأبكار إلا لمقتضى لنكاح الثيب كما وقع لجابر فإنه قال للنبي ﷺ لما قال له ذلك " هلك أبي وترك تسع بنات فتزوجت ثيباً كرهت أن أجيئهن بمثلهن فقال : بارك الله لك " .

(٧) الكيس : الجماع أو الكيس العقل ، والمراد حثه على ابتغاء الولد .

قُلْتُ: نَعَمْ فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] قَبْلِي وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ[٢] فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَالَ: الآنَ قَدِمْتَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَدَعْ جَمَلَكَ وادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ[٣]، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فَأَمَرَ بِلالاً أَنْ يَزِنَ لَي أُوقِيَّةً فَوَزَنَ لِي بِلالٌ فَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ[٤]، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ فَقَالَ: ادْعُ لِي جَابِرًا. فَقُلْتُ: الآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ: خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ " رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي واللفظ للبخاري [٥].

---

(١) أي المدينة .

(٢) أي جابر وغيره من الصحابة.

(٣) فيه دليل على استحباب صلاة ركعتين عند القدوم من السفر .

(٤) قال القنوجي : هو محمول على إذنه ﷺ في الإرجاح له لأن الوكيل لا يرجح إلا بالإذن .

(٥) صحيح البخاري كتاب البيوع باب شراء الدواب والحمير حديث رقم ٢٠٩٧، صحيح مسلم شرح النووي كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر ، سنن أبي داود كتاب النكاح باب في تزويج الأبكار ، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي كتاب النكاح باب نكاح الأبكار.

وفي الحديث فوائد :

١ – استحباب سؤال الإمام الكبير أصحابه عن أمورهم وتفقد أحوالهم وإرشادهم إلى مصالحهم وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء.

٢ – فضيلة تزوج الأبكار .

٣ – ملاعبة الرجل امرأته وملاطفته لها وحسن العشرة .

٤ – مباشرة الكبير والشريف شراء الحوائج وإن كان له من يكفيه إذا فعل ذلك على سبيل التواضع والاقتداء بالنبي ﷺ .

٥ — جواز خدمة المرأة زوجها وأولاده وعياله برضاها.

٦ — جواز ضرب الدابة للسير إذا تحقق أن ما بها ليس من فرط تعب وإعياء .

٧ — البركة في يد المصطفى ﷺ حيث زال بها الإعياء عن الجمل .

٨ — وفيه الوكالة في وفاء الديون والوزن على المشتري والشراء بالنسيئة.

٩ - جواز الزيادة في الثمن عند الأداء والرجحان في الوزن لكن برضا المالك.

١٠ — كمال كرمه وإحسانه ﷺ حيث أعطاه الثمن . وزاده في الوزن ورد عليه الجمل .

١١ — تواضعه ﷺ وحنوه على أصحابه وبركة دعائه ﷺ .

١٢ — فضيلة جابر ﷺ لشفقته على أخواته وإيثاره مصلحتهن على حظ نفسه .

١٣ — إذا تزاحمت مصلحتان قدم أهمهما؛ لأن النبي ﷺ صوب فعل جابر ودعا له لأجل ذلك .

١٤ — الدعاء لمن فعل خيراً وإن لم يتعلق بالداعي .

في ديوان روضات الخطيب :

أدب زائـــد بـــه خصـــك اللــــــــه وجود يفوق جود العزالى

والعزالى جمع عزلاء وهي القِرَبُ : يقال أنزلت السماء عزاليها أي اشتد وقـــوع المطر.

١٩- النبي ﷺ والنمرقة المصورة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً(١) فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَاب فَلَمْ يَدْخُلْ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهه الْكَرَاهِيَةَ(٢) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَتُوبُ إِلَى اللَّه وإلى رَسُولِه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ (٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَا بَالُ هَذه النُّمْرُقَة؟ قُلْتُ اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذه الصُّوَرِ(٤) يَوْمَ الْقِيَامَة يُعَذَّبُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ(٥) وَقَالَ: إِنَّ

---

(١) النمرقة : جمع نمارق وهي الوسائد التي يُصَفُّ بعضها إلى بعض.

(٢) قال القرطبي : إنما عرفت الكراهية في وجهه ﷺ ؛ لأنه تلون وجهه ﷺ ووقف و لم يدخل ، ولما رأت تلك الحال خافت فقدمت في اعتذارها التوبة ثم سألت عن الذنب فإنها لم تعرفه فعند ذلك جذب النمط فهتكه. فحصل من مجموع هذه القرائن أن اتخاذ الثياب التي فيها التماثيل حرام .

(٣) فيه جواز التوبة من الذنوب كلها إجمالاً وإن لم يستحضر التائب خصوص الذنب الذي حصلت به مؤاخذته .

(٤) قوله : إن أصحاب هذه الصور " أي المصورين ماله روح .

(٥) قوله " فيقال لهم احيوا ما خلقتم " أي على سبيل التهكم والتعجيز ففيه بيان بأن كل مصور يحاول مضاهاة خلق الله فهو في عذاب أليم يوم القيامة ، ويقال لهم وقتئذ أحيوا ما خلقتم وهو أمر تعجيزي أي انفخوا الروح في الصور التي صورتموها وهم لا يقدرون على ذلك فيستمر في تعذيبهم ومن جهة أخرى هو تنكيل بهم وبما صنعوه في الدنيا .

الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لا تَدْخُلُهُ الْمَلائِكَةُ [(١)] " .

---

(١) لا تدخله الملائكة : عام مخصوص ، فالمراد غير الحفظة أما الحفظة فلا يفـارقون الإنسان إلا عند الجماع والخلاء .

والمراد بالصورة : صورة الحيوان فلا بأس بصورة الأشجار والجبال ونحو ذلك مما لا روح فيه ويدل له قول ابن عباس لرجل : إن كنت ولا بد فـاعلا فاصـنع الشجر وما لا نفس له : وأما الصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهمـا فلا يمتنع دخول الملائكة بسببها .

ويستفاد من الحديث : تحريم تصوير ذوات الأرواح مطلقاً سواء كان للصـورة ظل أو لم يكن وهو ما ذهب إليه الحنفية والشافعية والحنابلة .

وذهب المالكية إلى أنه لا يحرم من تصوير ذوات الأرواح إلا أن تكون الصورة مجسمة كاملة الأعضاء ، فإن كانت ناقصة عضواً ما لا يعيش الحيوان مع فقده لم يحرم .

وذهب أبو سعيد الاصطخري من الشافعية وأبو جعفر النحاس ، ومكـي بـن أبي طالب إلى أنه لا يحرم تصوير ذوات الأرواح إلا أن يصنع صنماً فيعبد من دون الله .

وذهب محمد بن القاسم إلى أنه لا يحرم من تصوير ذوات الأرواح إلا ما كـان تمثالاً مجسداً له ظل فإن كانت الصورة مسطحة لا ظل لهـا لا تحـرم وذلـك كالمنقوش في دار أو ورق أو قماش .

حكم التصوير الفوتوغرافي :

التصوير الفوتوغرافي : آلة تنقل صور الأشياء بانبعاث أشعة ضوئية من الأشـياء التي تسقط على عدسة في جزئها الأصلي الأمامي ومن ثم إلى شريط أو زجـاج حساس في جزئها الخلفي فتطبع عليه الصورة بتأثير الضوء فيه تأثيراً كيماوياً .

والتصوير الفوتوغرافي من الأمور المستحدثة في عصرنا هذا لم يكن موجوداً ولا معروفاً في عصور السلف ممن تقدم من العلماء وأول من باشر البدء في اختراعه الموسيو فيسفور فيبس الفرنساوي سنة ١٨١٣م .

محمد خليل الخطيب النيدي

رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري[1].

وقد اختلف العلماء المعاصرين في حكمه وجاء الخلاف على رأيين :

الأول : يرى أصحابه إباحة التصوير الفوتوغرافي ، وممن ذهب إلى هذا القول : الشيخ محمد بخيت المطيعي ، والشيخ محمد رشيد رضا ،والشيخ حسنين مخلوف، والشيخ محمد الغزالي ولجنة الفتوى بالأزهر .

الثاني : يرى أصحابه حرمة التصوير الفوتوغرافي وممن ذهب إلى هذا القول الشيخ أبو الطيب صديق القنوجي ، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الشيخ حمود التويجري .

والذي أميل إليه هو الرأي القائل بإباحة التصوير الفوتوغرافي لأسباب منها : حاجة المجتمع إليه إذ لايمكن التنقل من بلد إلى آخر أو في البلد نفسه إلا بمعرفة الهوية ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الصور الفوتوغرافية فهي ضرورة يبيحها الشرع والمجتمع في حاجة ماسة إليها وفي تعطيلها تعطيل لمصالح المسلمين المرسلة.

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء رقم ٢١٠٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب اللباس باب تحريم تصوير صور الحيوان.

وفي ديوان الروضات للمؤلف :

ضربت لكل أنواع الكمال	**مثالاً دونه أسمى مثال**
وعن علياك قصرت المعالي	**فمن يحكيك في العليا عديم**

٢٠- جابر ودينه والمعجزة في قضائه

عَنْ جَابِرٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: تُوُفِّيَ عَبْدُاللَّه بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ[١] وَعَلَيْه دَيْنٌ فَاسْتَعَنْتُ[٢] النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى غُرَمَائه أَنْ يَضَعُوا[٣] منْ دَيْنه فَطَلَبَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَقَالَ لِيَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا[٤]: الْعَجْوَةَ[٥] عَلَى حدَة، وَعَذْقَ ابن زَيْد[٦] عَلَى حدَة، ثُمَّ أَرْسلْ إِلَيَّ، فَفَعَلْتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَجَاءَ فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاهُ أَوْ فِي وَسَطه ثُمَّ قَالَ: كِلْ لِلْقَوْمِ، فَكِلْتُهُمْ حَتَّى أَوْفَيْتُهُمِ الَّذي لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ منْهُ شَيْءٌ[٧] ".

---

(١) هو أبو جابر. رضي الله عنه .

(٢) استعنت من الاستعانة وهي طلب المعونة. وفي رواية فاستشفعت .

٣) أن يضعوا : أي يتركوا .

(٤) صنّف : النوع بمعنى اعزل كل نوع على حدة .

(٥) العجوة : من أجود التمر بالمدينة .

(٦) عذق ابن زيد : بفتح العين وسكون الذال مضافاً إلى شخص يسمى ابن زيد وهو نوع جيد من التمر، قال الجوهري : العذق بالفتح: النخلة. وأصناف تمر المدينة كثيرة جداً؛ فذكر أبو محمد الجويني أنه كان بالمدينة فبلغه أنهم عدوا عند أميرها صنوف الأسود خاصة فزادت على الستين قال: والتمر الأحمر أكثر عندهم من الأسود .

(٧) الحديث فيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ . لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه .

رواه البخاري والنسائي [1].

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب البيوع باب الكيل على البائع والمعطي رقم ٢١٢٧ ، سنن النسائي شرح السيوطي كتاب الوصايا باب قضاء الدين قبل الميراث.

ما يستفاد من الحديث :

- جواز الاستنظار في الدين .
- جواز تأخير الغريم لمصلحة المال الذي يوفى منه .
- مشي الإمام في حوائج رعيته .
- شفاعته عند بعضهم في بعض .

يقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه بشرى العاشقين

وجـــابر إذ يـــوفّي ديـــن والـــده	**تمراً وخاف الأذى من دائن هكم**
دعاك كي لا يرى فحش الغريم وهل	**مثل اليهودي في لـــؤم وفي قـــزم**
لو أن أضـــعاف تمـــر عنـــده لغـــدا	**دون الذي يقتضيه مقتضى السلم**
وإذا دعـــوت بـــيمن في بيـــادره	**وفّاه شطراً وأبقى الشطر للسُّـــهم**

هكم : كثير الشر

قزم : الصغار .

البيادر : أماكن التمر .

السهم : القرابة .

٢١- سيد الحي اللديغ ورقياه

عَنْ أَبِي سَعِيد رضي الله عنه[١] قَالَ: انْطَلَقَ نَفَر[٢] مِنْ أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ فِي سَفْرَة سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا على حَيٍّ مِنْ أَحْيَاء الْعَرَب فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ[٣] سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْء[٤] لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ[٥] لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَد مِنْكُمْ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللَّه إِنِّي لأُرْقِي وَلَكِنْ وَاللَّه لَقَد اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلا فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ عليه[٦] وَيَقْرَأُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي ومَا بِهِ قَلَبَةٌ[٧] قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ

---

(١) أبو سعيد : هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الخدري.

(٢) النفر : جماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ولكن عند ابن ماجه أنهم كانوا ثلاثين وكذا عند الترمذي وفي رواية سلمان بن قتّه عند الإمام أحمد بعثنا رسول ثلاثين رجلاً .

(٣) لدغ : بضم اللام وكسر الدال أي لسع .

(٤) أي مما جرت العادة أن يتداوو به من لدغة العقرب .

(٥) القائل : هو أبو سعيد الخدري .

(٦) قال ابن أبي جمرة : محل التفل في الرقية بعد القراءة لتحصل بركة الريق في الجوارح التي يمر عليها ، فتحصل البركة في الريق الذي يتفله ويقرأ الحمد لله رب العالمين — الفاتحة .

(٧) قلبة : أي علة وسمي بذلك ؛ لأن الذي تصيبه يتقلب من جنب إلى جنب ليعلم موضع الداء منه ، ونقل عن خط الدمياطي : أنه داء مأخوذ من القلاب يأخذ البعير فيشتكي منه قلبه فيموت من يومه .

جُعْلَهُم الَّذي صَالَحُوهُمْ عَلَيْه. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسمُوا فَقَالَ الَّـذي رَقَـى: لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتيَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا. فَقَدمُوا عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ. فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ[١] أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ ثم قال : قد أَصَبْتُمْ اقْسمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْما[٢] فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ". متفق عليه[٣] .

---

(١) وما يدريك : أي ما علمك أنها رقية؟ قال الداودي : معناه وما أدراك.

(٢) الأمر بالقسمة في قوله ﷺ واضربوا لي معكم سهما " من باب مكارم الأخلاق وإلا فالجميع للراقي ، وإنما قال اضربوا تطييباً لقلوبهم ومبالغة في أنه حـلال لا شبهة فيه .

(٣) صحيح البخاري كتاب الإجارة ، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العـرب رقم ٢٢٧٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب السلام باب جـواز أخـذ الأجرة على الرقية .

وفي الحديث فوائد منها: ١ – جواز الرقية بكتاب الله ، ويلتحق به ماكـان بالـذكر والدعاء المأثور. ٢ – مشروعية الضيافة. ٣ – مقابلة من امتنع من المكرمة بنظير مـا صنعه كما صنعه الصحابي من الامتناع من الرقية في مقابلة امتنـاع أولئـك مـن ضيافتهم. ٤ – جواز قبض الشيء إذا كان ظاهره الحل وترك التصـرف فيـه إذا عرضت فيه شبهة. ٥– الاجتهاد عند فقد الـنص. ٦ – أن الـرزق المقسـوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قسم له .

٧ – عظمة القرآن في صدور الصحابة خصوصاً سورة الفاتحة .

وعن القرآن الكريم يحدثنا شيخنا الخطيب في ديوانه روضات الخطيب :

الله أنزلـــه مصـــادر رحمـــة ودواء داء حـــادث أو عـــاد [(١)]

ومعـــين آداب وســـر ملـــذة وصوى الطريق ومصدر الآراد[(٢)]

ومزيـــل آلام وجالـــب عـــزة وأجل مـــا يـــدني مـــن الجـــواد

وبه طوى الأشـــياء جـــل جلالـــه ما بـــين مضـــمر ســـره والبـــاد

كم من علوم فيه بانـــت للنـــهى ومعـــارف قـــد بـــن للعبـــاد

وبـــه بـــدت للبـــاحثين حقـــائق من قبل ما خطرت بـــأي فـــؤاد

في كـــل آن آيـــة منـــه تـــرى آياتـــه عـــزت علـــى التعـــداد

معنـــاه لا يحصـــى وكـــل قريحـــة منه استفادت قـــدر الاســـتعداد

ويزيـــد بـــالترداد فيـــه حـــلاوة اعجب به يحلـــو علـــى التـــرداد

ولفـــرط لذتـــه يحـــاول حفظـــه مع بغضـــه مســـتعذب الإلحـــاد

وبـــه هـــدانا الله كـــل فضـــيلة وأبان فيـــه لنـــا طريـــق رشـــاد

من يتبعه يكـــن ملاكـــاً طـــاهراً من يجتنبـــه يكـــن مـــن المـــراد

كم قصة قد ســـاقها المـــولى بـــه عظة كما قد ساق قصـــة عـــاد

(١) القرآن شفاء من الأمراض الروحانية كالاعتقادات الباطلة والأخـــلاق المذمومـــة وشفاء من الأمراض الجسمانية ؛ لأن التبرك بقراءته تنفع كثيراً من الأمراض قال ﷺ : " خير الدواء القرآن . وقال ﷺ : من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله.

وقال الإمام ابن القيم : إن الآيات والأذكار والأدعية التي يستشفي بها ويرقى هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمـــتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والادواء الحسية. ومن الطـــب الروحاني: كل ما ورد في القرآن من التعويذ والأدعية كقوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ أ.هـــ.

(٢) صوى الطريق : منارتها . والآراد : الأضواء .

ومرغــــب ومزهــــد ومبشــــر ومحــــذر بالوعــــد والإيعــــاد
ينهى عن العــاد القبــيح ودائمــاً يدعو إلى خــير وأجمــل عــاد
ليثوب من غاب ويثبــت شــاهد ويعود للقصد القــويم العــاد
ولأهلــه نــور وأكــرم شــافع وهمو به الشفعاء يوم معــاد[1]
لا يلتقي والهم في صــدر امــرئ وهو الأنيس وأفضل الأوراد[2]
فاجعله همك تكف همــك كلــه وتنل هنا وهناك خــير أيــادي
أصحابه صادقٌ إذا رمت الهــدى ولمن عــداهم إن ترمــه فعــاد
والله لــو أخــذ الأنــام بحكمــه علم الضواري كيف برّ نقاد[3]

(١) قال ﷺ : القرآن شافع مشفع وماحل مصدق . من جعله أمامه قاده إلى الجنــة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار (رواه ابن حبان في صحيحه) .
والماحل: الخصم . وقال ﷺ : " من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحــرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبــت لــه النار . رواه الترمذي وابن ماجه . واستظهره : حفظه .

(٢) قراءة القرآن أفضل من الأذكار المطلقة والذكر المقيد بوقت أولى من القــراءة فيه بل قد تحرم القراءة كما في الركوع والسجود .

(٣) الضواري : الأسود . والنقاد : الأنعام .

٢٢- الميت المدين

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِي عَنْه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذْ أُتِيَ بِجَنَازَة فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا. فَقَالَ: هَلْ عَلَيْه دَيْنٌ[١]؟ قَالُوا: لا. قَالَ: فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا. فَصَلَّى عَلَيْه ثُمَّ أُتِيَ بِجَنَازَة أُخْرَى فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه صَلِّ عَلَيْهَا قَالَ: هَلْ عَلَيْه دَيْنٌ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟ قَالُوا ثَلاثَةَ دَنَانِيرَ فَصَلَّى عَلَيْهَا[٢]. ثُمَّ أُتِيَ بِالثَّالِثَة فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا قَالَ هَلْ تَرَكَ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا. قَالَ: فَهَلْ عَلَيْه دَيْنٌ قَالُوا: ثَلاثَةُ دَنَانِيرَ قَالَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ[٣]. قَالَ: أَبُو قَتَادَةَ [٤] صَلِّ عَلَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّه وَعَلَيَّ دَيْنُهُ[٥]. فَصَلَّى

---

(١) أي هل على الميت دين؟ . لأنه ﷺ كان قبل أن تفتح عليه الفتوح إذا أتى بمدين لا وفاء لدينه قال لأصحابه : صلوا عليه ولا يصلي هو عليه تحذيراً عن الدين وزجراً عن المماطلة .

(٢) قال القسطلاني لعله عليه الصلاة والسلام علم أن هذه الدنانير الثلاثة تفي بدينه بقرائن الحال أو بغيرها.

(٣) قال البيضاوي : لعله ﷺ امتنع عن الصلاة على المديون الذي لم يترك وفاء تحذيراً من الدين وزجراً عن المماطلة أو كراهة أن يوقف دعاؤه عن الإجابة بسبب ما عليه من مظلمة الخلق .

(٤) هو الحارث بن ربعي الأنصاري .

(٥) وعند الحاكم: ديناران وزاد في حديث جابر فقال ﷺ : هما عليك ، وفي مالك والميت منهما بريء؟ قال : نعم ، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقى أبا قتادة يقول: ما صنعت الديناران حتى كان آخر ذلك أن قال قضيتهما يا رسول الله قال الآن : حين بردت عليه جلده .

عَلَيْه[١]" . أخرجه البخاري والنسائي واللفظ للبخاري [٢].

---

(١) قد ذكر في هذا الحديث ثلاثة أحوال وترك الرابع وهو من لا دين عليه وله مال، وحكم هذا أنه كان يصلي عليه ، ولعله إنما لم يذكر لكونه كان كثيراً لا لكونه لم يقع.

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي كتاب الحوالة باب إذا أحال دين الميت على رجل رقم ٢٢٨٩ ، سنن النسائي بشرح السيوطي كتاب الجنائز.

وفي هذا الحديث : ١ – الإشعار بصعوبة الدين وأنه لا ينبغي تحمله إلا من ضرورة . ٢ – صحة الكفالة عن الميت من غير رجوع إلى ماله .

٣ – وجوب الصلاة على الجنازة

وعن الدين يقول شيخنا في ديوانه وحي الحديث

إيـــاك والــدَّين المـمـض فإنــه	هـم بليلـك ذلـة بضـحاكا
واحذره إلا ملجـأً تنـوي وفـاً	كيما بعينك جـل في إيفاكـا
لا تمطـين وزر الهمـوم مطاكـا	فترى بهن ولا تطيـق حراكـا
إن تقر نفسك صبر صبرك تسترح	مِنْ مَنِّ مَنْ صبروا عليك عداكا
يأبى النبي علـى المـدين صـلاته	أفلا تحاذر أن تكـون كـذاكا
والله يـرهن للمـدين بدينـه	في حشره حتى ينـال فكاكـا
والقتـل فيـه مكفـر زلاتـه	والحج إلا الدين منـه حماكـا

٢٣- النبي ﷺ وأزواجه

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّه ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ[١]: فَحِزْبٌ فيه عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّه ﷺ[٢]. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّه ﷺ عَائِشَةَ - فَإِذَا كَانَتْ عنْدَ أَحَدهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ في بَيْت عَائِشَةَ[٣] بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّة بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ في بَيْت عَائِشَةَ- فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمي رَسُولَ اللَّه ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِه إِلَيْه حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوت نِسَائه[٤]. فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا. فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ: مَا قَالَ لي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّميه قَالَتْ: فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا. فَقُلْنَ لَهَا كَلِّميه حَتَّى يُكَلِّمَك فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا: لا تُؤْذِيني في عَائِشَةَ[٥] فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِني وَأَنَا في ثَوْب امْرَأَة إِلا عَائِشَةَ. قَالَتْ: فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللَّه مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّه. ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ[٦]

---

(١) حزبين تثنية حزب ، والحزب الطائفة من الناس والجمع أحزاب .

(٢) وهن : زينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وجويرية بنت الحارث.

(٣) أي يوم نوبتها .

(٤) أي حيث كان ﷺ من بيوت نسائه .

(٥) لفظة " في" في قوله ﷺ لا تؤذيني في عائشة للتعليل . كقوله تعالى : ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ يوسف/ ٣٢ .

(٦) أي أمهات المؤمنين اللآتي هن حزب أم سلمة طلبن فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فَاطمَةَ بنْتَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ تَقُولُ: إِنَّ نسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ[١] الْعَدْلَ في بنْت أَبي بَكْرٍ[٢]. فَكَلَّمَتْهُ[٣]. فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ أَلا تُحبِّينَ مَا أُحبُّ ؟ قَالَتْ: بَلَى. فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرَتْهُنَّ. فَقُلْنَ: ارْجعي إِلَيْه فَأَبَتْ أَنْ تَرْجعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ[٤] وَقَالَتْ: إِنَّ نسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ في بنْت ابْنِ أَبي قُحَافَةَ[٥]، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائشَةَ وَهيَ قَاعدَةٌ فَسَبَّتْهَا[٦] حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائشَةَ هَلْ تتَكَلَّمُ. قَالَ: فَتَكَلَّمَتْ عَائشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا. قَالَتْ: فَنَظَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِلَى عَائشَةَ وَقَالَ : إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ[٧]"

---

(١) ينشدنك الله : أي يسألنك بالله .

(٢) قال ابن حجر : أي التسوية بينهن في كل شيء حتى في المحبة وغيرها.
وقال الكرماني في محبة القلب ، لأنه كان يسوى بينهن في الأفعال المقدورة، وقد اتفق على أنه لا يلزمه التسوية في المحبة ؛ لأنها ليست من مقدور البشر .

(٣) فكلمته فاطمة رضي الله عنها في ذلك ،وعند ابن سعد من مرسل علي بن الحسين : أن التي خاطبت فاطمة بذلك منهن زينب بنت جحش ، وأن النبي ﷺ سألها : أرسلتك زينب ، قالت زينب وغيرها قال : أهي التي وليت ذلك ؟ قالت نعم .

(٤) فأغلظت : أي في كلامها .

(٥) هو والد أبي بكر الصديق اسمه عثمان - رضي الله عنهما- .

(٦) فسبتها : أي سبت زينب عائشة – رضي الله عنها - .

(٧) قوله ﷺإنها بنت أبي بكر " أي أنها شريفة عاقلة عارفة كأبيها وكأنه ﷺ أشار إلى أن أبا بكر كان عالماً بمناقب مضر ومثالبها فلا يستغرب من بنته تلقي ذلك عنه ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، والولد سر أبيه.

رواه البخاري [١] .

---

١) صحيح البخاري كتاب الهبة ، باب من أهدى إلى صاحبه، رقم ٢٥٨١.

ويستفاد من القصة : ١ — بيان مكانة السيدة عائشة .٢ — قصد الناس بالهدايا أوقات المسرة ومواضعها ليزيد ذلك سرور المهدي إليه .٣ — تنافس الضـــرائر وتغايرهن على الرجل وأن الرجل يسعه السكوت إذا تقاولن ولا يميل مع بعض على بعض .٤ — ما كان عليه أزواج النبي ﷺ من مهابته والحياء منه حتى راسلنه بأعز الناس عنده فاطمة .

٥ — سرعة فهم أمهات المؤمنين ورجوعهن إلى الحق والوقوف عنده

وتحت عنوان كيف تعامل الزوجة

يقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث

خذها رويدا بالجميل فإن عصـــت	**فانصح فجانب فرشها فعصاكا**
وصى بها خـــير البريـــة فـــارقبن	**فيها بربك أمر مـــن وصـــاكا**
وتمـــتعن بهـــا علـــى عـــوج وفي	**تقويمهـــا تطليقهـــا حاشـــاكا**
وامزح وجِدَّ وأنفقـــن ولا تكـــن	**فظـــاً فيعـــدم راحـــة مثواكـــا**
والبيت يشمله الوفـــاق حديقـــة	**وإذا الخـــلاف يحلـــه فلظاكـــا**
وبـــدارها لا تســـكنن ودارهـــا	**وذر الفضول جمـــيعهن وراكـــا**

٢٤- من معجزاته ﷺ

عَنْ عَبْدالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ثَلاثِينَ وَمائَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: هَلْ مَعَ أَحَد منْكُمْ طَعَامٌ؟ فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ منْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ(١) بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً ؟ أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً ؟ قَالَ: لا بَلْ بَيْعٌ (٢). فَاشْتَرَى منْهُ شَاةً فَصُنِعَتْ(٣)، وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بِسَوَاد الْبَطْنِ(٤) أَنْ يُشْوَى. وَأَيْمُ(٥) اللَّه مَا في الثَّلاثِينَ وَالْمِائَة إِلا وقَدْ حَزَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لَهُ حُزَّةً (٦) منْ سَوَاد بَطْنِهَا، إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ فَجَعَلَ منْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا فَفَضَلَت الْقَصْعَتَانِ فَحَمَلْنَاهُ(٧) عَلَى الْبَعِيرِ أَوْ كَمَا قَالَ ". رواه البخاري (٨).

---

١) طويل : تفسير مشعان أو المشعان : الجافي الثائر الرأس .

(٢) بيع : أي مبيع وأطلق عليه بيعاً باعتبار ما يؤول إليه .

(٣) صنعت : ذبحت.

(٤) سواد البطن : كبدها : وكل ما في بطنها ، والأول أبلغ في المعجزة.

(٥) وأيم : قسم .

(٦) حزة : قطعة .

(٧) فحملناه : أي الطعام الذي فضل لعدم الحاجة إليه . وفيه معجزة تكثير سواد البطن والصاع حتى أشبعهم وحمل الباقي لعدم الحاجة إليه .

(٨) صحيح البخاري كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين حديث رقم ٢٦١٨.

ما يؤخذ من الحديث :

- قبول هدية المشرك ؛ لأنه سأله هل يبيع أو يهدي ؟
- وفيه فساد من قال برد الهدية على الوثني دون الكتابي؛ لأن هذا الأعـــرابي كان وثنياً .
- وفيه المواساة عند الضرورة لقوله ﷺ : هل مع أحد منكم طعام .
- ظهور البركة في الاجتماع على الطعام .
- وفيه القسم لتأكيد الخبر وإن كان المخبر صادقاً .

ويقول شيخنا الخطيب في هذا المعنى:

مـــــن يمنـــــه روى القليـــــل كتيبـــــة

وكـــــذاك أشـــــبعها قليـــــل الـــــزاد

(روضات الخطيب)

أروى وأشـــبع بالنـــذر الكـــثير وكـــم

أزال كرباً وكـــم جلـــى مـــن القحـــم

(بشرى العاشقين)

---

(١) القحم : الشدائد المهلكة .

٢٥- حديث الإفك

عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجه[١] فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاة غَزَاهَا[٢] فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ[٣] وَأُنْزَلُ فيه. فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ غَزْوَته تلْكَ وَقَفَلَ[٤] وَدَنَوْنَا منَ الْمَدينَة آذَنَ لَيْلَةً بالرَّحيل فَقُمْتُ حينَ آذَنُوا بالرَّحيل فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْني أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْري فَإِذَا عقْدٌ لي منْ جَزْعِ ظَفَارِ[٥] قَد انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عقْدي فَحَبَسَني ابْتغَاؤُهُ فَأَقْبَلَ الَّذينَ يَرْحَلُونَ لي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعيري الَّذي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسبُونَ أَنِّي فيه وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ[٦] منَ الطَّعَام فَلَمْ يَسْتَنْكر الْقَوْمُ حينَ رَفَعُوهُ ثقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ– وَكُنْتُ جَاريَةً حَديثَةَ السِّنِّ– فَبَعَثُوا[٧] الْجَمَلَ وَسَارُوا فَوَجَدْتُ عقْدي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ[٨] فَجئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْس

---

١) أي أجرى بينهن القرعة تطييباً لقلوبهن .

(٢) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة .

(٣) الهودج : محملة لها قبة تستتر بالثوب ونحوه يوضع على ظهر البعير يركب فيه النساء ويكون أستر لهن .

(٤) قفل : أي رجع.

(٥) الجزع : خرز معروفٌ. في سواده بياض كالعروق وظفار بفتح الظاء : مدينة باليمن قال ياقوت الحموي : وهي في أقصى اليمن إلى جهة الهند.

(٦) العلقة : بضم العين وسكون اللام القليل من الطعام.

٧) فبعثوا الجمل : أثاروه .

٨) بعد ما استمر الجيش : أي ذهب ماضيا .

فيه أَحَدٌ فَأَمَمْتُ[١] مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ به وظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقدُونَني فَيَرْجعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنمْتُ- وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحجَابِ- فَاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرْجَاعه حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ[٢] يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[٣]. فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ[٤] وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُاللَّه بْنُ أُبَيِّ بْنُ سَلُولَ فَقَدمْنَا الْمَدينَةَ فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ[٥] مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ وَيَرِيبُنِي[٦] فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ؛ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تِيكُمْ ؟ لا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ[٧]. فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ

---

(١) أممت : قصدت قال الداودي : ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ سورة المائدة آية رقم ٣ .

(٢) فوطئ يدها : أي وطء صفوان على يد البعير ليكون ذلك أسهل لركوبها ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها ، وفي حديث أبي هريرة : " فغطى وجهه عنها ثم أدنى بعيره " .

(٣) أي حال كونهم نازلين في نحر الظهيرة حتى بلغت الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر ، أو أولها وهو وقت شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء .

(٤) أي في شأني، وفي رواية عند الطبراني فهنالك قال أهل الإفك في وفيه ما قالوا.

(٥) يفيضون : أي يخوضون " من أفاض " أو يشيعون. من قولهم استفاض الحديث فهو مستفيض .

٦) يريبني : يشككني ويوهمني.

(٧) يقال نقه المريض ينقه فهو ناقه إذا برأ وأفاق، وكان قريب العهد بالمرض، و لم يرجع إليه كمال صحته وقوته .

قَبلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا. لا نَخْرُجُ إلا لَيْلا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخذَ الْكُنُفَ[١] قَرِيبًا منْ بُيُوتنَا – وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّه– فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مسْطَحٍ. بنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا[٢] فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَ مَا قُلْت أَتَسُبِّينَ رَجُلا شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ يَا هَنْتَاهْ[٣] أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْك فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَقَالَ: كَيْفَ تِيكُمْ ؟ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ– قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئذ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا – فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي : مَا يَتَحَدَّثُ بِه النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسك الشَّأْنَ فَوَاللَّه لَقَلَّمَا كَانَت امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّه وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ[٤] لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ. ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[٥] يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْله. فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْه بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسه مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللَّه وَلا نَعْلَمُ وَاللَّه إِلا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ

---

(١) الكنف : جمع كنيف وهو الساتر والمراد به هنا المكان المتخذ لقضاء الحاجة .

٢) المرط : كساء من الصوف أو خز يؤتزر به وتتلفع المرأة به.

(٣) يا هنتاه : أي يا هذه نداء للبعيد فخاطبتها خطاب البعيد لكونها نسبتها للبله وقلة المعرفة بمكائد النساء .

٤) لا يرقأ : أي لا ينقطع .

(٥) استلبث من اللبث وهو الإبطاء والتأخر ، والمعنى : أي طال لبث نزوله واستبطاء الوحي حال كونها يستثيرها .

بْنُ أَبِي طَالِب فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ [١] وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْت فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ[٢] عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[٣] فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِه فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِاللَّه بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ يَعْذُرُنِي[٤] مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلا خَيْرًا وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلا مَا عَلِمْتُ عَلَيْه إِلا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلا مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَنَا وَاللَّه أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيه أَمْرَكَ.

---

(١) قال الواقدي : إنما قال ذلك لما رأى عنده ﷺ من القلق والغم لأجل ذلك وكان شديد الغيرة ﷺ فرأى على أن بفراقها يسكن ما عنده ﷺ بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيراجعها فبذل النصيحة لإراحته لا عداوة لعائشة.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : لم يجزم علي بالإشارة بفراقها ؛ لأنه عقب ذلك بقوله " وسل الجارية تصدقك " ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ فكأنه قال : إن أردت تعجيل الراحة ففارقها ، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها ؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة .

(٢) أغمصه عليها : أي أعيبها به وأطعن به عليها .

(٣) الداجن : الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج للمرعى ،وقد تقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها .

(٤) أي من ينصرني أو من يقوم بعذره فيما رمى أهلي به من المكروه أو من يقوم بعذري إذا عاقبته على قبيح فعله .

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلا صَالِحًا- وَلَكِن احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ(١)- فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّه لا تَقْتُلُهُ وَلا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّه وَاللَّه لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَن الْمُنَافقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّان(٢) الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

وَبَكَيْتُ يَوْمِي لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَان عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذ اسْتَأْذَنَت امْرَأَةٌ منَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ. - وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ لِي مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ- قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: يَا عَائشَةُ لقد بَلَغَني عَنْك كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْت بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْت أَلْمَمْت بِذَنْب (٣) فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِه ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه

---

(١) الحمية : العار والأنفة .

(٢) قال الماوردي : لم يرد نفاق الكفر ، وأنما أراد أنه كان يظهر الود للأوس، ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك فأشبه حال المنافقين ، فإن حقيقة النفاق إظهار شيء وإخفاء غيره ، وقال ابن أبي جمرة : وإنما صدر ذلك منهم لأجل قوة حال الحمية التي غطت كل قلوبهم حين سمعوا ما قال ﷺ فلم يتمالك أحد منهم إلا قام في نصرته ؛ لأن الحال إذا ورد على القلب ملكه فلا يرى غير ما هو لسبيله ، فلما غلبهم حال الحمية لم يراعوا الألفاظ فوقع منه السباب والتشاجر لغيبتهم لشدة انزعاجهم في النصرة.

٣) أي وقع منك خلاف العادة .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ[١] دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ لأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَبَرِيئَةٌ لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي. وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلا إِلا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)[٢] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا يتلى وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا رَامَ[٣] مَجْلِسَهُ وَلا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[٤] حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[٥] مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ. فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللَّهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ. فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) قلص دمعي : أي ارتفع وذهب ؛ لأن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع وانقطع لفرط حرارة المصيبة.

(٢) آية ١٨ من سورة يوسف .

٣) ما رام : أي ما فارق رسول الله ﷺ مجلسه .

(٤) البرحاء : شدة الكرب من ثقل الوحي .

(٥) الجمان : اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: لا وَاللَّهِ لا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) الآيَاتِ(١) فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي(٢) قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ : وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا) إِلَى قَوْلِهِ: (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلا خَيْرًا. قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي(٤) فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ (٥) " أخرجه

---

(١) سورة النور ١١ — ٢٦ .

(٢) أي وطابت النفوس المؤمنة وتابت إلى الله تعالى من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم .

(٣) آية رقم ٢٢ من سورة النور .

٤) تساميني : أي تضاهيني وتفاخرني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ مفاعلة من السمو وهو الارتفاع .

(٥) فعصمها الله بالورع : أي حفظها ومنعها بالورع بالمحافظة على دينها أن تقول بقول أهل الإفك. قال الصفدي : رأيت بخط ابن خلكان أن مسلماً ناظر نصرانياً فقال له النصراني في كلامه محتقناً في خطابه بقبيح آثامه : يا مسلم كيف كان وجه زوجة نبيكم عائشة في تخلفها عن الركب عند نبيكم معتذرة بضياع عقدها ، فقال له المسلم : يا نصراني كان وجهها كوجه بنت عمران لما أتت بعيسى تحمله من غير زوج ، فمهما اعتقدت في دينك من براءة مريم اعتقدنا مثله في ديننا من براءة زوج نبينا فانقطع النصراني و لم يجر جوابا .

البخاري ومسلم واللفظ له [١] .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضاً حديث رقم ٢٦٦١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التوبة باب في حديث الإفك .

ويستفاد من القصة فوائد كثيرة منها :

١ — مشروعية القرعة بين النساء والرد على من منع منها .

٢ — فضيلة الاقتصاد في الأكل وعدم الإسراف فيه صحياً وبدنياً .

٣ — يستحب أن يُسِرَّ عن الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن في ذكره فائدة .

٤ — بيان فضل السيدة عائشة وتبرئتها القاطعة من التهمة الباطلة التي نسبت إليها بوحي منزل على رسول الله ﷺ وقرآن يتلى على مر العصور يقطع ألسنة المرجفين ، ويقضي على إشاعات المغرضين والملحدين .

٥ — جواز تعديل النساء للنساء وتزكية بعضهن لبعض .

٦ — من سب عائشة — رضي الله عنها — بما برأها به الله تعالى منه يقتل لتكذيبه بالله ورسوله .

وحول النميمة والغيبة والبهتان يقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث

وذر النميمة كم تجر ضغينة	**واحذر من النمام أن يغشاكا**
حظر الإله عليه جنته فلا	**تفتح له أذنيك أو مثواكا**
شاركت للنمام والمغتاب في	**إثميهما إن تستمع أذناكا**
لا تغضبن فتحقدن فتحسدن	**فتسخطن قضاءه يقلاكا**

٢٦- عمرته ﷺ في ذي القعدة

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِي اللَّه عَنْهما قَالَ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ(١) يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ(٢) أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَتَبُوا الْكِتَابَ(٣) كَتَبُوا هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لا نُقِرُّ(٤) بِهَا فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه مَا مَنَعْنَاكَ(٥) لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّه قَالَ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّه، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: امْحُ رَسُولُ اللَّه. قَالَ: لا وَاللَّه لا أَمْحُوكَ أَبَدًا(٦). فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ فَكَتَبَ(٧) هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّه لا يَدْخُلُ مَكَّةَ

---

(١) فأبى أهل مكة أن يدعوه : أي امتنعوا أن يتركوه .

(٢) حتى قاضاهم : من القضاء وهو إحكام الأمر وإمضاؤه .

(٣) أي بخط علي بن أبي طالب ﷺ .

(٤) لا نقر بها : أي بالرسالة .

(٥) ما منعناك : أي من دخول مكة وعبر بالمضارع بعد لو التي للماضي لتدل على الاستمرار أي استمر عدم علمنا برسالتك في سائر الأزمنة من الماضي وهو كقوله تعالى : ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ الحجرات/٧ .

(٦) قال القسطلاني : لعلمه بالقرائن أن الأمر ليس للإيجاب .

(٧) إسناد الكتابة إليه ﷺ على سبيل المجاز ؛ لأنه الآمر بها ، وقيل كتب وهو لا يحسن بل أطلقت يده بالكتابة ولا ينافي هذا كونه أميا لا يحسن الكتابة ؛ لأنه ما حرك يده تحريك من يحس الكتابة إنما حركها فجاء المكتوب صواباً من غير قصد فهو معجزة، ودفع بأن ذلك مناقض لمعجزة أخرى وهو كونه أمياً لا يكتب ، وفي ذلك إفحام الجاحد وقيام الحجة والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً ، وقيل: لما أخذ القلم أوحى الله إليه فكتب .

سِلاحٌ إلا فِي الْقِرَابِ، وَأَنْ لا يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَهُ، وَأَنْ لا يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا(١) وَمَضَى الأَجَلُ(٢) أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ(٣) اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ. فَخَرَجَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبِعَتْهُمُ ابْنَةُ حَمْزَةَ يَا عَمِّ يَا عَمِّ(٤) فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ رَضِي اللَّه عَنْه فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ – رضي الله عنها – : دُونَكِ(٥) ابْنَةَ عَمِّكِ احمليها. قال : فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ فَقَالَ عَلِيٌّ : أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي(٦). وَقَالَ جَعْفَرٌ : ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي. وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي(٧) فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا(٨)، وَقَالَ: الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ(٩). وَقَالَ

---

(١) أي مكة في العام القابل.

(٢) ومضى الأجل : وهو الثلاثة ايام أي قرب انقضائها كقوله تعالى : ﴿ فإذا بلغن أجلهن ﴾ الطلاق آية ٢ .

(٣) قل لصاحبك : أي النبي ﷺ .

(٤) يا عم يا عم : أي تقول له ﷺ يا عم ؛ لأنه عمها من الرضاعة ..

(٥) دونك : أي خذي .

(٦) زاد في رواية : وعندي ابنة رسول الله وهي أحق بها .

(٧) وقال زيد ابنة أخي : لأنه ﷺ آخى بين زيد وأبيها حمزة .

(٨) أي زوجة جعفر .

(٩) الخالة بمنزلة الأم : أي في الحضانة ؛ لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد ، ولم يقدح حضانتها كونها متزوجة بمن له مدخل في الحضانة بالعصوبة وهو ابن العم ، واستنبط منه أن الخالة مقدمة في الحضانة على العمة لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها ، وفيه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب .

لِعَلِيٍّ : أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ[١]. وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي[٢]. وَقَالَ لِزَيْدٍ: أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلانَا[٣]. "أخرجه البخاري [٤].

---

(١) أنت مني وأنا منك : أي النسب والسابقية والمحبة وغيرها.

(٢) هذه منقبة جليلة لجعفر .

(٣) أنت أخونا ومولانا : أي أخونا في الإيمان ، مولانا من جهة أنه أعتقه ﷺ ، فطيب قلوبهم بنوع من التشريف على ما يليق بالحال وإن كان ﷺ قضى لجعفر فقد بين وجه ذلك .

(٤) صحيح البخاري كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان رقم ٢٦٩٩.

وحول بيت الله الحرام وتحيته يقول شيخنا الخطيب في ديوانه وحي الحديث:

وإذا بلغت البيت فاحمد خاشعاً	واشكر لمن أولاك ما أولاكا
وتحية البيت الطواف فطف بـه	متهللاً فرحاً بنيل رجاكا
واعلم بأن القصد من طوفانه	طوفان قلبك بالذي أنشاكا

٢٧- العسيف الزاني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِد الْجُهَنِيِّ – رضي الله عنهما – أَنَّهُمَا قَالا : إِنَّ رَجُلا مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه أَنْشُدُكَ اللَّهَ[١] إِلا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّه[٢] فَقَالَ الْخَصْمُ الآخَرُ– وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ– [٣] : نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَأْذَنْ [٤] لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ– قُلْ. قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا[٥] عَلَى هَذَا فَزَنَى، بِامْرَأَتِه وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ فَافْتَدَيْتُ ابني مِنْهُ بِمِائَة شَاةٍ وَوَلِيدَة[٦]، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ[٧]

---

(١) أنشدك الله : أي سألتك الله ، ومعنى السؤال هنا، القسم كأنه قال أقسمت عليك بالله ، أو ذكرتك بالله .

(٢) إلا قضيت لي بكتاب الله : أي لا أسألك إلا القضاء بكتاب الله فالفعل مؤول بالمصدر للضرورة ، والمراد بكتاب الله ما حكم به الله على عباده سواء كان من القرآن أو على لسان الرسول ﷺ ، أو المراد به ما كان من القرآن متلواً فنسخت تلاوته وبقى حكمه وهو الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله .

(٣) وهو أفقه منه : لعل الراوي عرف ذلك قبل الواقعة أو استدل مما وقع منه في هذه القضية على أنه أفقه من صاحبه . قال القنوجي : وهو أفقه منه : أي بحسن مخاطبته وأدبه أفقه منه في هذه القصة لوصفها على وجهها .

(٤) هذا الاستئذان من حسن الأدب في مخاطبة الكبير .

(٥) العسيف : هو الأجير سمي بذلك لأنه يعْسِفُ الطرقات أي يسلكها متردداً في الأشغال والجمع عُسفاء مثل أجير وأجراء.

(٦) الوليدة : الأمة.

(٧) فسألت أهل العلم : أي من الصحابة الذين كانوا يفتون في العصر النبوي وهم الخلفاء الأربعة وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت الأنصاريون وزاد ابن سعد عبد الرحمن بن عوف.

فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ: الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ (١) وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ(٢)، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ(٣) إِلَى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ (٤) فَارْجُمْهَا. قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَتْ(٥)" رواه البخاري (٦) .

---

(١) رد عليك : أي يجب ردها عليك .

(٢) جلد مائة وتغريم عام : كأنه قد علم ﷺ أنه بكر وقد اعترف بالزنى . لأن إقرار الأب عليه لا يقبل ، وإن كان هذا من باب الفتوى فيكون المعنى إن كان ابنك زنى وهو بكر فحده جلد مائة وتغريب عام .

(٣) هو أنيس بن الضحاك الأسلمي .

(٤) فإن اعترفت : أي بالزنا وشهد على اعترافها اثنان .

(٥) يحتمل أن يكون هذا الأمر هو الأمر في قوله : " فإن اعترفت فارجمها وأن يكون ذكر له أنها اعترفت فأمره ثانيا أن يرجمها . قال الصنعاني: اعلم أنه ﷺ لم يبعث إلى المرأة لأجل إثبات الحد عليها ، فإنه ﷺ قد أمر باستتار من أتى بفاحشة وبالستر عليه ، ونهى عن التجسس ، وإنما ذلك لأنها لما قذفت المرأة بالزنى بعث إليها ﷺ لتنكر فتطالب بحد القذف ، أو تقر بالزنى فيسقط عنه فكان منها الإقرار فأوجبت على نفسها الحد .

(٦) صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط التي لا تحل في الحدود رقم ٢٧٢٤ .

ويستفاد من هذا الحديث :

وجوب الحد على الزاني غير المحصن مائة جلدة ، وعليه دل القرآن، وأنه يجب عليه تغريب عام وهو زيادة على ما في القرآن.

٢ - وجوب الرجم على الزاني المحصن .

٣ – أنه يكفي في الاعتراف بالزنا الإقرار مرة واحدة كغيره من سائر الأحكام وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وداود الظاهري . وذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه يعتبر في الإقرار بالزنا أربع مرات .

٤ – الحث على إبعاد الأجنبي من الأجنبية مهما أمكن ؛ لأن العشرة قد تفضي إلى الفساد.

٥ – جواز استفتاء المفضول مع وجود الفاضل .

٦ – أن الصحابة كانوا يفتون في عهد النبي ﷺ .

٧ – وفيه أن الحد لا يقبل الفداء في الزنا والسرقة والحرابة وشرب المسكر والقذف .

٨ – أن الصلح المبني على غير الشرع يرد ويعاد المال المأخوذ فيه .

٩ – جواز الاستنابة في إقامة الحد .

وتحت عنوان أيها الحر يقول شيخنا الخطيب في ديوانه (وحي الحديث)

لا تخلــون بغــادة فَيَغُرّهــا	**بك من يَغُرُّ كما بها أغراكـا**
وامنع حماك دخول بيتـك إنـه	**موت حماك الله شـر حَمَاكَـا**
إن لم تَغِرْ فيما يريب فلسـت ذا	**شرف وفي الدارين ما أخزاكا**
لا تبصرن نساك من رجل سوى	**رجل أبيح له لقـاء نسـاكا**
دن مـن تشـاء فمـا بـه	**ذاينته لا بـد منـه وفاكـا**

٢٨- قصة بني عامر والقراء

عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي سَبْعِينَ[١]. فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُمْ خَالِي[٢] أَتَقَدَّمُكُمْ فَإِنْ أَمَّنُونِي حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣] وَإِلا[٤] كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا. فَتَقَدَّمَ فَأَمَّنُوهُ فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَوْمَئُوا[٥] إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَطَعَنَهُ برمح فَأَنْفَذَهُ[٦]. فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّةِ أَصْحَابِه فَقَتَلُوهُمْ إِلا رَجُلا أَعْرَجَ[٧] صَعِدَ الْجَبَلَ. قَالَ هَمَّامٌ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَدْ لَقُوا رَبَّهُمْ. فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ. فَكُنَّا نَقْرَأُ[٨] أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا[٩] ثُمَّ

---

(١) هم المشهورون بالقراء ؛ لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم ، وقد وهم الدمياطي هذه الرواية بأن بني سليم مبعوث إليهم ، والمبعوث هم القراء وهم من الأنصار وقال ابن حجر: التحقيق أن المبعوث عليهم بنو عامر وأما بنو سليم فغدروا بالقراء المذكورين . والوهم في هذا السياق من حفص بن عمر شيخ البخاري .

(٢) أي خالي حرام بن ملحان .

(٣) أنه يدعوهم إلى الإيمان .

(٤) وإلا : أي وإن لم يؤمنوني .

(٥) أومئوا : جواب بينما: أي أشاروا إلى رجل منهم هو عامر بن الطفيل .

(٦) أي في جنبه حتى خرج من الشق الآخر .

(٧) هذا الرجل هو كعب بن يزيد الأنصاري من بني أمية .

(٨) فكنا نقرأ : أي في جملة القرآن .

(٩) زاد ابن جرير من رواية عمر بن يونس عن عكرمة عن إسحاق عن أبي طلحة عن أنس وأنزل الله : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ آل عمران / ١٦٩.

نُسِخَ بَعْدُ (١). فَدَعَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا(٢) عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لَحْيَانَ وَبَنِي عُصَيَّةَ الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ". رواه البخاري (٣) .

(١) ثم نسخ بعد : أي ثم نسخ لفظه من التلاوة .

(٢) أي في القنوت.

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب من ينكب في سبيل الله حديث رقم ٢٨٠١.

ومما قاله شيخنا في القرآن الكريم في ديوانه بشرى العاشقين :

أتيت بالذكر يا مختار معجزة ... رمت أولى اللسن المشهود باللسم (١)
والإنس والجن إن يبغوا معارضة ... له معاً رجعوا بالذل والرغم
أيتام در تعالى الله فصلها ... عقداً لجيد المعالي جد منتظم
فمن علوم إلى ذكرى إلى قصص ... إلى اعتبار إلى حكم إلى حكم
إلى غيوب إلى وعظ إلى أدب ... إلى صفات قدير خالق حكم
إلى دعاء إلى خير ومرحمة ... وعفة ونجاة يوم مزدحم
يمل بالرد قول غيره وإذا ... يرد يسبيك من قدسية النغم(٢)
ولا تحد معانيه وكل لهى ... يعطي على قدره في الذوق والفهم
تفيد روحا وريحاناً قراءته ... وجنةً وسموَّ النفس والهمم
وشرحَ صدر ونوراً واسعاً وإذا ... أتى به الفتح لا تسال عن الكرم
وخير ما يبلغ المولى قراءتُهُ ... ويعصم المرء في الدارين من وصم
كم رام أعداؤه تبديله سفهاً ... أنَّي وبالحفظ ربي خير ملتزم
هام العداة به حفظاً للذته ... وزينوا ماله أنشوا من الكلم
فمل إليه ، وعنه لا تمل أبداً ... ورو نفسك من سلساله الشبم(٣)
هو الشفيع لأهليه، وحافظه ... له الشفاعة في عشر أولى رحم
من يتخذه إماماً قاده لهدى ... ومن يدع أمره في النار ينقحم
وما له مبدأ يدري ومن عجب ... تزداد نضرته ما ازداد في القدم

(١) اللسن: الفصاحة . اللسم: البكم (٢) الرد : التكرار (٣) الشبم : الماء البارد

٢٩- العضباء وقعود الأعرابي

عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ : كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ[١] لا تُسْبَقُ. قَالَ حُمَيْدٌ : أَوْ لا تَكَادُ تُسْبَقُ. فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ[٢] فَسَبَقَهَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ[٣]. فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلا وَضَعَهُ[٤]. "

---

(١) قال ابن منظور : العضباء : اسم ناقة النبي ﷺ ، اسم لها علم ،وليس من العضب الذي هو الشق في الأذن ، وإنما هو اسم لها سميت به . قال الجوهري : هو لقبها . وقال ابن الأثير : القصواء الناقة التي قطع طرف أذنها ، وكل ما قطع من الأذن فهو جدع ، فإذا بلغ الربع هو قصو ، فإذا جاوزه فهو عضب ، فإذا استؤصلت فهو صلم ، ولم تكن ناقتة ﷺ قصواء ، وإنما كان هذا لقباً لها لقوله تسمى العضباء ، ويقال لها العضباء ، ولو كانت تلك صفتها لم يحتج لذلك ، وقد جاء أنه ﷺ كان له ناقة تسمى العضباء ، وأخرى تسمى الجدعاء ، وأخرى تسمى صلماء وأخرى مخضرمة ، وهذا كله في الأذن فيحتمل أن تكون كل واحدة صفة ناقة مفردة ، وأن يكون الكل صفة ناقة واحدة ، فسماها كل منهم بما تخيل ، وبذلك جزم الحربي . ويؤكد ذلك ما روى في حديث على حين بعثه عليه السلام ببراءة فروى ابن عباس أنه ركب ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، وروى جابر العضباء ، ولغيرهما الجدعاء فهذا يصرح أن الثلاثة صفة ناقة واحدة لأن القصة واحدة.

(٢) القعود ما استحق الركوب من الإبل وأقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن يدخل في السادسة ، ولا يقال إلا للذكر .

(٣) حتى عرفه : أي عرف ﷺ كونه شاقاً عليهم .

(٤) وفي رواية : إن حقا. فـ(على الله) متعلق بـ (حقا) ، و(أن لا يرتفع) خبر إن، وأن مصدرية فيكون معرفة ، الاسم نكرة فيكون من باب القلب إلي أن عدم الارتفاع حق على الله .

أخرجه البخاري [١].

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير باب ناقة النبي ﷺ رقم ٢٨٧٢.

ويستفاد من الحديث :

١ – جواز اتخاذ الإبل للركوب والمسابقة عليها .

٢ – التزهيد في الدنيا للإشارة إلى أن كل شيء منها لا يرتفع إلا اتضع.

٣ – حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه وعظمته في صدور الصحابة .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه روضات الخطيب :

أنت في العلم والمكـــارم والحلـــــ ـــــم لدى الناس مضرب الأمثال

٣٠- نبذة من غزوة أحد

عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِب رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّــه عَلَيْــه وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجَّالَةِ(١) يَوْمَ أُحُد وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلا عَبْدَاللَّه بْنَ جُبَيْر(٢) فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا(٣) الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ(٤)، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ(٥) فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ. فَهَزَمُوهُمْ(٦). قَالَ(٧) : فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ(٨) قَدْ بَدَتْ خَلاخِلُهُــنَّ وَأَسْــوُقُهُنَّ

---

(١) الرجالة : جمع راجل على خلاف القياس وهم الذين لا خيل معهم..

(٢) هو : عبد الله بن جبير بن النعمان أمية الأنصاري الأوسي ، شهد العقبة وبدراً ، وقتل يوم أحد .

(٣) تخطفنا : الخطف هو أخذ الشيء وجذبه بسرعة وكذا استلبه واختلسه.

(٤) وعند أحمد والحاكم والطبراني من حديث ابن عباس " أن النبي ﷺ أقــامهم في موضع ثم قال : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا " .

(٥) وأوطأناهم : أي مشينا عليهم وهم قتلى على الأرض .

(٦) أي هزم المسلمون الكفار .

(٧) أي البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٨) يشتددن : أي يسرعن المشي أو يشتددن على الكفار. يقال : شد عليه في الحرب أي حمل عليه . قال القاضي عياض : وقع للقابسي في الجهاد يسندن بضم أوله وسكون السين أي يمشين في سند الجبــل يــردن أن يصعدنه حال كونهن قد ظهرت خلاخلهن وأسوقهن ليعينهن ذلك على الهرب .

رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ [١]. فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ [٢]: الْغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ [٣] الْغَنِيمَةَ. ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ [٤] مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ [٥] فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ. فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ [٦] فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا. فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً: سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلًا فَقَالَ أَبُوسُفْيَانَ [٧]:

---

(١) سمي ابن إسحاق النساء المذكورات وهن : هند بنت عتبة خرجت مع أبي سفيان، وأم حكيم بنت الحرث بن هشام خرجت مع زوجها عكرمة بن أبي جهل ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام ، وبرزة بنت مسعود الثقفية مع صفوان بن أمية ، وريطة بنت شيبة السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وهي والدة ابنه عبد الله ، وسلافة بنت سعد مع زوجها طلحة بن أبي طلحة الحجبي، وخناس بنت مالك أم مصعب بن عمير وعمرة بنت علقمة.

(٢) أصحاب عبد الله بن جبير هم : الرجالة.

(٣) أي يا قوم الغنيمة غلب أصحابكم المؤمنون الكفار .

(٤) الهمزة في أنسيتم للاستفهام الإنكاري.

(٥) صرفت وجوههم : أي قلبت وحولت إلى الموضع الذي جاءوا منه فأقبلوا منهزمين عقوبة لعصيانهم قول الرسول ﷺ لهم لا تبرحوا .

(٦) أي فذلك حين يدعوهم الرسول في أخراهم أي في جماعتهم المتأخرة إليّ عباد الله ، أنا رسول الله من يكر فله الجنة .

(٧) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي: أبو سفيان صحابي شهير أسلم عام الفتح ومات سنة اثنين وثلاثين.

أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ " ثَلاثَ مَرَّاتٍ " فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ : أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ " ثَلاثَ مَرَّاتٍ " ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ " ثَلاثَ مَرَّاتٍ " [١] ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَمَّا هَؤُلاءِ فَقَدْ قُتِلُوا. فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ[٢] وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ. قَالَ[٣]: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ[٤]، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ : أُعْلُ هُبَلْ أُعْلُ هُبَلْ[٥] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلا تُجِيبُوا لَهُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ . قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلا عُزَّى لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلا تُجِيبُوا لَهُ؟ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ " رواه البخاري [٦] .

---

(١) الهمزة في قوله : أفي القوم " للاستفهام الإخباري ونهيه ﷺ عن إجابة أبي سفيان تصاوناً عن الخوض فيما لا فائدة فيه ، وعن خصام مثله ، وكان ابن قميئة قال لهم قتلته ..

(٢) أنما أجاب عمر ﷺ بعد النهي حماية للظن برسول الله ﷺ أنه قتل وأن بأصحابه الوهن فليس فيه عصيان له في الحقيقة .

(٣) أي أبو سفيان.

(٤) والحرب سجال : أي دول: مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء .

(٥) هبل : اسم صنم في الكعبة أي علا حزبك يا هبل .

(٦) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب رقم ٣٠٣٩.

ويستفاد من الحديث :

١ – أن الهزيمة وقعت بسبب مخالفة الرماة لقول النبي ﷺ .

٢ – كراهة التنازع والتخاصم والتجادل والاختلاف في المقاتلة في أحوال الحرب بأن يذهب كل واحد منهم إلى رأي .

٣ – بيان عقوبة من عصى إمامه بالهزيمة قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ . قال قتادة : الريح الحرب .

٤ – بيان منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما.

٥ – فيه شؤم ارتكاب النهي وأنه يعم ضرره من لم يقع منه .

٦ – من آثر دنياه فقد أضر بأمر آخرته و لم تحصل له دنياه .

٧ – استفيد من هذه الواقعة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها والمبالغة في الطاعة .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه (رباعيات الخطيب) :

ما جنيت الحرب بل أنت سلام ... جئت تدعوهم إلى دار السلام

بل لرب الجهل كم قلت سلام ... ولذي الشدة كم كنت تلين

****

والذي قد حرم البيت الحرام ... إن إيذاءك يا طه حرام

ما لهم راموا حراماً في حرام ... وابتغوا موت حياة العالمين

٣١- قتل أبي جهل لعنه الله

عَنْ عَبْدالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ[١] مِنْهُمَا فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ : يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ[٢]؟ قُلْتُ: نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ[٣] حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا فَلَمْ أَنْشَبْ[٤] أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ[٥] قُلْتُ : أَلا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ[٦] بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ : أَيُّكُمَا قَتَلَهُ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ فَقَالَ : هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا[٧] قَالا : لا . فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ[٨] فَقَالَ

---

(١) أضلع : بفتح الهمزة وسكون الضاد أي أشد وأقوى .

(٢) أبا جهل : هو عمرو بن هشام فرعون هذه الأمة.

(٣) أي شخصي شخصه .

(٤) أنشب : أي لم ألبث .

(٥) يجول في الناس : أي يضطرب في المواضع لا يستقر على حال .

(٦) فابتدراه : أي سبقاه مسرعين بسيفيهما .

(٧) أي من الدم .

(٨) إنما أخذ السيفين ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلهما فعلم أن ابن الجموح أثخنه، ثم شاركه الثاني بعد ذلك فَبَعُدَ استحقاقه السلب فلم يكن له حق في السلب .

كلاكُمَا قَتَلَهُ فأعطى سَلَبُهُ[١] لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ[٢] وَكَانَا مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ " رواه البخاري ومسلم [٣] .

---

(١) السلب : ما على القتيل ، أو ما في معناه من ثياب وسلاح ومركوب يقاتل عليه ، أو ممسكاً بعنانه وهو يقاتل وآلته ، وكذا لباس زينة وأمتعة .

(٢) قال النووي : اختلف العلماء في معنى هذا الحديث : فقال أصحابنا : اشترك هذان الرجلان في جراحته ، لكن معاذ بن عمرو بن الجموح أثخنه أولاً فاستحق السلب ، وإنما قال النبي ﷺ : كلاكما قتله تطيبا لقلب الآخر من حيث إن له مشاركة في قتله ، ولأن القتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب هو الإثخان وإخراجه عن كونه ممتنعاً إنما وجد من معاذ بن عمرو بن الجموح فلهذا أقضى له السلب .

وقال المالكية : إنما أعطاه لأحدهما ؛ لأن الإمام مخير في السلب يفعل فيه ما يشاء . وقال الطحاوي : لو كان يجب للقاتل لكان السلب مستحقاً بالقتل ولكان جعله بينهما لاشتراكهما في قتله فلما خص به أحدهما دل على أنه لا يستحق بالقتل وإنما يستحق بتعيين الإمام .

(٣) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب من لم يخمس من الأسلاب رقم ٣١٤١ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل.

ويستفاد من الحديث :

١ – المبادرة إلى فعل الخيرات ، والاشتياق إلى الفضائل .

٢ – الغضب لله ولرسوله ﷺ .

٣ – أنه ينبغي ألا يحتقر أحد ، فقد يكون بعض من يستصغر عن القيام بأمر أكبر مما في النفوس وأحق بذلك الأمر كما جرى لهذين الغلامين .

٤ – أن استحقاق القاتل للسلب يكفي فيه قوله بلا بينة .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه (روضات الخطيب) :

جريـــت لطيبـــة حـــذر الحمـــام

فمـــا لقيتـــك إلا بالســـلام

وكـــم ســـلت لنصـــرك مـــن حسـام

وقاتلـــت القـــروم بهـــا القـــروم [1]

****

حبـــاك الله نصـــراً أي نصـــر

أمـــدك بالملائـــك يـــوم بـــدر

فكســـرت الأعـــادي أي كســـر

فقتلـــى أو جـــريح أو هـــزيم

(١) القروم : جمع قرم وهو السيد .

٣٢- النبي ﷺ يؤثر في القسمة لحكمة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ[١] رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ[٢] رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ؛ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ[٣] مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ[٤]: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ. قَالَ فَقُلْتُ[٥]: وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ[٦]؟ قَالَ: ثُمَّ

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي من السابقين للإسلام، أمّره عمر على الكوفة، مات سنة ٣٢ هـ بالمدينة.

(٢) آثر : فضَّل .

(٣) هو : عيينة بن حصن الفزاري .

(٤) قال رجل : هو معتب بن قشير المنافق .

(٥) القائل : هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٦) قال القاضي عياض : حكم الشرع أن من سب النبي ﷺ كفر وقتل ، ولم يذكر في هذا الحديث أن هذا الرجل قتل ، قال المازري : يحتمل أن يكون لم يفهم منه الطعن في النبوة ، وإنما نسبه إلى ترك العدل في القمسة، والمعاصي ضربان : كبائر وصغائر . فهو ﷺ معصوم من الكبائر بالإجماع ، واختلفوا في إمكان وقوع الصغائر. ومن جوزها منع من إضافتها إلى الأنبياء على طريق التنقيص ، وحينئذ فلعله لم يعاقب هذا القائل؛ لأنه لم يثبت عليه ذلك ، وإنما نقله عنه واحد ، وشهادة الواحد لا يراق بها الدم ، لكن رد القاضي عياض هذا التأويل بقوله : هذا التأويل باطل يدفعه قوله : اعدل يا محمد ، واتق الله يا محمد ، وخاطبه خطاب المواجهة بحضرة الملأ حتى استأذن عمر وخالد النبي ﷺ في قتله ،

قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ " رواه البخاري ومسلم [١].

فقال النبي ﷺ: " معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " . فهذه هي العلة ، وسلك معه مسلك غيره من المنافقين الذين آذوه ، وسمع منهم في غير موطنٍ ما كرهه لكنه ﷺ صبر استبقاء لانقيادهم وتأليفا لغيرهم لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه فينفروا .

(١) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم رقم ٣١٥٠ ، صحيح مسلم بشرح النووي .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين :

من يبتغي عدَّ آي المصطفى العلم
وكله آية في الفعل في الكلم

في الوصل في الهجر في ضيق وفي سعة
في الأخذ في الرد في حرب وفي سلم

في العفو في الأخذ [١] في حلم وفي غضب
في الزهد في الجود في الإيفاء بالذمم

جمت خوارقه، جلت خلائقه
نارت طرائقه في حالك الظلم

رقت رقائقه، فاحت عوابقه
شاقت شوائقه لله ذو الهمم

(١) الأخذ : العقاب .

٣٣- الهرمزان وعمر ﷺ

عَنْ عُمَرَ ﷺ أنه بَعَثَ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ[١] يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ[٢] فَأَسْلَمَ الْهُرْمُزَانُ[٣] فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِي مَغَازِيَّ هَذِهِ[٤]. قَالَ: نَعَمْ مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلانِ فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرِّجْلانِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الآخَرُ نَهَضَتِ الرِّجْلانِ وَالرَّأْسُ فَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرِّجْلانِ

---

(١) في أفناء الأمصار : أي في مجموع البلاد الكبار ، والأفناء جمع فنو بكسر الفاء وسكون النون ، والمصر : المدينة العظيمة .

(٢) قال القسطلاني : فلما كانوا بالقادسية أتاهم في الجيش الذين أرسلهم يزدجرد إلى قتال المسلمين. فوقع بينهم قتال عظيم لم يعهد مثله مستهل المحرم سنة أربع عشرة. وأبلى في ذلك اليوم جماعة من الشجعان كطلحة الأسدي ، وعمرو بن معد يكرب، وضرار بن الخطاب ، وأرسل الله تعالى في ذلك اليوم ريحاً شديدة أرمت خيام الفرس من أماكنها ، وهرب رستم مقدم الجيش وأدركه المسلمون وقتلوه ، وانهزمت الفرس ، وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً ولم يزل المسلمون وراءهم إلى أن دخلوا مدينة الملك وهي المدائن التي فيها إيوان كسرى وكان الهرمزان واسمه رستم من جملة الهاربين ووقعت بينه وبين المسلمين وقعة ثم وقع الصلح بينه وبينهم ثم نقضه ، فجمع أبو موسى الأشعري ﷺ الجيش وحاصروه فسأل الأمان إلى أن يحمل إلى عمر ﷺ فوجهه أبو موسى الأشعري ﷺ مع أنس إليه .

(٣) فأسلم الهرمزان : أي طائعاً وصار عمر يقربه ويستشيره ثم اتفق أن عبد الله بن عمر اتهمه بأنه واطأ أبو لؤلؤة على قتل عمر فعدا على الهرمزان فقتله بعد قتل عمر .

(٤) أي فارس وأصبهان وأذربيجان .

وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ؛ فَالرَّأْسُ كِسْرَى[١] وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ وَالْجَنَاحُ الآخَرُ فَارِسُ فَمُرِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى[٢]. فَنَدَبَ عُمَرُ رضي الله عنه [٣] جماعة من الناس وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِم النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ[٤]. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ[٥] وَخَرَجَ عَلَيْهِم عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا[٦] فَقَامَ تَرْجُمَانٌ فَقَالَ لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : سَلْ عَمَّا شِئْتَ قَالَ: مَا أَنْتُمْ[٧] ؟ قَالَ: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلاءٍ شَدِيدٍ نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ[٨] فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرَ

---

(١) اعترض هذا بأن كسرى لم يكن رأسا للروم ، ورد على هذا الاعتراض بأن كسرى كان رأس الكل ؛ لأنه لم يكن في زمانه ملك أكبر منه لأن سائر ملوك البلاد كانت تهادنه وتهاديه .

(٢) فإنه الرأس وبقطعها يبطل الجناحان .

(٣) أي للغزو.

(٤) هو النعمان بن مقرن بن عائذ أبو عمرو المزني صحابي مشهور استشهد بنهاوند.

(٥) هي نهاوند .

(٦) أربعين ألفاً من أهل فارس وكرمان فقط ومن غيرهما كنهاوند واصبهان مائة ألف.

(٧) فقال : أي الترجمان من أنتم بصيغة ما لا يعقل على سبيل الاحتقار .

(٨) زاد في رواية ابن أبي شيبة في شرف منا . أوسطنا حسباً وأصدقنا حديثاً.

مِثْلَهَا قَطُّ وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ[١]. فَقَالَ النُّعْمَانُ[٢] : رُبَّمَا أَشْهَدَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا [٣]مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنَدِّمْكَ وَلَمْ يُخْزِكَ وَلَكِنِّي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ انتظَرَ حتى تَهُبَّ الأَرواحُ [٤] وتحضُرَ الصَّلَوَاتُ [٥].

---

(١) هذا القول فيه فصاحة المغيرة ، حيث إن كلامه مبين لأحوالهم فيما يتعلق بدنياهم من المطعوم والملبوس ، وبدينهم من العبادة وبمعاملتهم مع الأعداء من طلب التوحيد أو الجزية ، ولمعادهم في الآخرة إلى كونهم في الجنة ، وفي الدنيا إلى كونهم ملوكاً ملاّكاً للرقاب .

(٢) أي فقال النعمان بن مقرن للمغيرة بن شعبة لما أنكر عليه تأخير القتال وذلك أن المغيرة كان قصد الاشتغال بالقتال أول النهار بعد الفراغ من المكالمة مع الترجمان.

(٣) ربما أشهدك الله أي أحضرك مثل هذه الواقعة مع رسول الله ﷺ .

(٤) الأرواح : جمع ريح وتحضر الصلوات أي بعد زوال الشمس، زاد وفي رواية الطبري ويطيب القتال ، وعند ابن أبي شيبة وينزل النصر .

وعن زياد بن جبير فقال النعمان : اللهم إني أسالك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل الكفر والشهادة لي .

(٥) صحيح البخاري باب الجزية والموادعة رقم ٣١٥٩، ٣١٦٠ .

ويستفاد من القصة : ١ – فضل المشورة .

٢ – أن الكبير لا نقص عليه في مشورة من هو دونه .

٣ – أن المفضول قد يكون أميراً على الأفضل ؛ لأن الزبير بن العوام كان في جيش عليه فيه النعمان بن مقرن. والزبير بن العوام أفضل منه اتفاقاً .

٤ – ضرب المثل وجودة تصور الهرمزان .

٥ – تشبيه لغائب المجوس بحاضر محسوس لتقريبه إلى الفهم .

٦ — فضل القتال بعد زوال الشمس على ما قبله .

٧ — البداءة بقتال الأهم فالأهم .

٨ — بيان ما كان عليه العرب في الجاهلية من الفقر وشظف العيش .

٩ — بيان معجزات الرسول ﷺ وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه (روضات الخطيب) .

وتـــنكس الأصـــنام والـــنيران قـــد

طفئت وعمَّ الخصب كـل بـلاد [1]

إيــوان كســرى كسِّــرت شــرفاته

وبشمله صـاح الزمـان بـدّاد [2]

ومســاء مــن والاك أصــبح مشــرقاً

ونهــار مــن عــاداك عــاد دُآد [3]

(١) تنكست الأصنام : سقطت على وجهها . ونيران فارس التي كانوا يعبدونها وكانت توقد أشد الاتقاد ليلاً ونهاراً فلم يقدر أحد تلك الليلة على اتقاد شيء منها بوجه من الوجوه .

(٢) الإيوان: الصرح، كسرى: ملك الفرس، والشمل: الجمع، بداد : تفرق.

(٣) دآد : ظلمات .

٣٤- النبي ﷺ واليهود والشاة المسمومة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ للنبي صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ [١]. فَقَالَ النبي صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُود فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ النبي ﷺ : إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِم. فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَبُوكُمْ قَالُوا أَبُونَا فُلانٌ. فَقَالَ : كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلانٌ[٢]. فَقَالُوا : صَدَقْتَ. فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ. فَقَالُوا نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا. قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا : نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا. فَقَالَ لَهُمْ : اخْسَئُوا فِيهَا[٣]،

---

(١) هذه الشاة أهدتها له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودي. وضعت له السم فيها فأكل منها لقمة فأخبرته الشاة أنها مسمومة ، أو أخبره جبريل عليه السلام . وجمع بأن الشاة أخبرته أولاً ثم أخبره جبريل بذلك تصديقاً لها فتركها ﷺ و لم يضره السم .

قال شيخنا الخطيب ﷺ : ففي ذلك ما أظهره الله من معجزاته ﷺ وعدم تأثير السم فيه حالاً وفي رواية " لم تزل أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهري" ومعناه أن سم أكلة خيبر وهي اللقمة التي أكلها من الشاة كان يعود عليه ﷺ حتى قطعت أبهره وهو عرق مستبطن متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه . قال العلماء : فجمع الله له بين النبوة والشهادة ، ولا يرد على ذلك قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ لأن الآية نزلت عام تبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك.

(٢) قال ابن حجر : ما أدري من عنى بذلك .

(٣) قوله : "اخسئوا فيها " : زجراً لهم بالطرد والإبعاد ودعاء عليهم بذلك ويقال لطرد الكلب اخسأ .

وَاللَّه لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَـيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا : نَعَمْ. فَقَالَ : هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُـمًّا؟ قَـالُوا: نَعَمْ[١]. قَالَ : مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْـتَرِيحُ ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ " أخرجه البخاري [٢].

---

(١) أسند وضع السم في الشاة إلى اليهود ؛ لأنه صدر عن رأيهـم واتفـاقهم ، وإلا فالمباشرة لذلك زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودي : وعفا عنها النبي ﷺ ؛ لأنه لا ينتقم لنفسه ، قال الزهري : فأسلمت فلما مات بشـر بـن البراء وكان أكل مع النبي ﷺ من الشاة المسمومة دفعها لورثته فقتلوها قَوَداً وبه جمع القرطبي بين الأخبار المتدافعة .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هـل يعفـى عنهم حديث رقم ٣١٦٩.

ويؤخذ من الحديث :

- جواز قبول هدية أهل الكتاب والأكل من طعامهم .
- إخباره ﷺ عن الغيب وتكليم الجماد له .
- أن الأشياء — كالسم وغيره — لا تؤثر بذواتها بل بإذن الله تعالى .

وقال شيخنا الخطيب في ديوانه (بشرى العاشقين) .

والطفل في المهـد بالإرسـال كاشـفه

كشف الذراع الذي فيه من الـوخم

٣٥- قصة خلق الإنسان ومصيره

عَنْ عَبْدِاللَّهِ[١] رَضِي اللَّه عَنْهُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ[٢] قَالَ: إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا[٣] ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً[٤] مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً[٥] مِثْلَ ذَلِكَ[٦] ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا[٧] فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ

---

(١) أي عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٢) قوله : " الصادق المصدوق " معناه الصادق في قوله المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم . وقيل الصادق في نفسه المصدوق فيما وعده به ربه .

(٣) أي يضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار ليخمر فيها حتى يتهيأ للخلق . قال الخطابي : روى عن ابن مسعود أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ، ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها .

(٤) علقة : أي دماً غليظاً جامداً، سميت بذلك لأنها إذ ذاك تعلق بالبدن .

(٥) المضغة : قطعة لحم قدر ما يمضغ .

(٦) مثل ذلك : أي مثل ذلك الزمان وهو أربعون يوماً . قال القنوجي : واختلف في أول ما يتشكل من الجنين ، فقيل قلبه لأنه الأساس ومعدن الحركات الغريزية ، وقيل الدماغ؛ لأنه مجمع الحواس ومنه تنبعث ، وقيل الكبد لأن فيه النمو والاغتذاء الذي هو قوام البدن ورجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي ؛ لأن النمو هو المطلوب أولاً ولا حاجة له حينئذ إلى حس وحركة إرادية ، وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به بتقديم الكبد ثم القلب ثم الدماغ.

(٧) ولأبي ذر عند الحموي : ثم يبعث الله الملك الموكل بالرحم أي في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه وتتشكل أعضاؤه .

عَمَلَهُ[١] وَرِزْقَهُ[٢] وَأَجَلَهُ[٣] وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ[٤] ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ[٥]. فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلا ذِرَاعٌ[٦] فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلا ذِرَاعٌ

---

(١) أصالح أم لا .

(٢) غذاءه حلالاً أو حراماً قليلاً أو كثيراً أو كل ما ساقه الله إليه لينتفع به ، كالعلم أو غيره .

(٣) طويلاً أو قصيراً .

(٤) حسبما اقتضته حكمته وسبقت كلمته ورفع شقيٌّ خبر مبتدأ محذوف وسعيد معطوف عليه ، والظاهر أن الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفته ، وقد جاء مصرحاً به في رواية مسلم في حديث حذيفة بن أسيد : ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص وفي حديث أبي ذر فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه .

(٥) بعد إتمام صورته والحكمة في تحول الإنسان في بطن أمه حالة بعد حالة –مع أن الله تعالى قادر على أن يخلقه في أقل من لمحة– أن في التحويل فوائد : منها أنه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم ، فجعله أولاً نطفة لتعتاد بها مدة ، ثم علقة كذلك وهلم جرا، ومنها إظهار قدرته تعالى حيث قلبه من تلك الأطوار إلى كونه إنساناً حسن الصورة متحلياً بالعقل ، ومنها التنبيه والإرشاد على كمال قدرته على الحشر والنشر لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة قادر على إعادته وحشره للحساب والجزاء .

(٦) المراد بالذراع : التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه ، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن لم يبق بينه وبين موضع من الأرض يريد أن يصل إليه إلا ذراع واحد .

فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " متفق عليه [١] .

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم ٣٢٠٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي.

وفي الحديث من الفوائد : ١ – التصريح بإثبات القدرة .

٢ – أن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر ، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة .

٣ – أن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء .

ويقول شيخنا الخطيب في نقاية التصوف :

ولا تفي من حقه بذره ... ولو لزمت ما حييت أمره

ولا ترى أقل منك أحدا ... حتى تموت مؤمناً موحداً

فخف رحيما وارجه مراحمه ... لا سيما الحسنى وحسن الخاتمه

فكم شكور قد قضى كفورا ... وكم كفور قد قضى شكورا

ما قيمة الأعمال والإراده ... سابقة بالنحس والسعاده

فالغر من يغتر أو يتكل ... والله قال يا عبادي اعملوا

وسلم الأمر لمن دبره ... فلن ترى غير الذي قدره

ولا تراقب غير أمر الله ... في خلقه وقيت شر اللاهي

مستحضراً أن الذي قضاه ... مهما يكن لا بد أن تراه

وأنت ملك الله والمملوك ... يختار ما يختاره المليك

وأنت مذ ولدت جِدُّ سارى ... للمنتهى في الليل والنهار

فحمل الفاني نحو الباقي ... وافن الفناء كله في الباقي

٣٦- سحره ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : سُحِرَ[١] النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ. حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ[٢] أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيه شِفَائِي[٣]؛ أَتَانِي رَجُلَانِ[٤] فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ[٥]. قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ فِي مُشْطٍ[٦] وَمُشَاقَةٍ[٧] وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ[٨]. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : فِي بِئْرِ

---

(١) السحر : كل ما لَطُف مأخذه ودق ، قال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكأن الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.
وقال القرطبي : السحر أصله التمويه بالحيل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء وهو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته .

(٢) أشعرت : أعلمت .

(٣) وللحميدي: أفتاني في أمر استفتيته فيه ، أي أجابني فيما دعوته فأطلق على الدعاء استفتاء لأن الداعي طالب ، والمجيب مفت ، أو المعنى : أجابني عما سألته عنه لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر.

(٤) وعند الطبراني أتاني ملكان ، وعند أبي سعد : إنهما جبريل وميكائيل .

(٥) مطبوب : أي مسحور من باب الكناية عن السحر بالطب تفاؤلاً .

(٦) مُشط بضم الميم وإسكان الشين: واحد الأمشاط: الآلة التي يمشط بها الشعر.

(٧) المشاقة : ما يستخرج من الكتان .

(٨) جف بضم الجيم وتشديد الفاء والإضافة وتنوين طلعة، وذكرٍ صفة لجف ، وهو وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف .

ذَرْوَانَ[١]. فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ: نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ[٢] فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ فَقَالَ: لا. أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا [٣] ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ " [٤].

---

(١) بئر زروان : بئر في بستان لبني زريق بالمدينة .

(٢) التشبيه إنما هو لرؤوس النخل وفي رواية: وكأن رؤوس نخلها من الشياطين أي في قبح المنظر. قال السندي: هذا يدل على أن الشياطين أجسام لها رؤوس تستقبحها الطباع السليمة يشبه بها الشيء الكريه المنظر والله أعلم .

(٣) هذا من باب ترك المصلحة خوف المفسدة، وفي رواية سفيان بن عيينة عن عروة: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه ثم قال : فاستخرج. قال: فقلت : ألا تنشرت فقال : أما والله قد شفاني الله وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً ، فأثبت استخراج السحر ، وجعل سؤال عائشة عن النشرة . وفي رواية عمر عن عائشة – رضي الله عنها – أنه وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال النبي ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة ، وإذا وتر فيه إحدى عشر عقدة فترل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ أية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما ثم يجد بعدها راحة .

(٤) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده رقم ٣٢٦٨.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين :

والهازئون كفاه الله شرهمو ... دنيا وما لهمو أخرى سوى الحدم [١]

الحدم : النار .

٣٧- إسلام عبد الله بن سلام

عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: بَلَغَ عَبْدَاللَّه بْنَ سَلامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ قَالَ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ[١] ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِه ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ. قَالَ[٢]: فَقَالَ عَبْدُاللَّـهِ: ذَاكَ[٣] عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوتِ[٤] وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا[٥] قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّه ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ[٦] إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ[٧] فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُاللَّه

---

(١) أشراط الساعة : هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها .

(٢) أي أنس بن مالك راوي الحديث .

(٣) ذاك : يعني جبريل عليه السلام.

(٤) هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ، وهي أطيبها وهي في غاية اللذة ، وقيل هي أهنأ طعام وأمرأه .

(٥) وفي حديث عائشة : " إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه ،وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله " والمراد بالعلو هنا السبق لأن كل من سبق فقد علا شأنه فهو علو معنوي .

(٦) بهت : بضم الباء وسكون الهاء جمع بهيت وهو الذي تبهت العقول له بما يفتريه من الكذب والمعنى أنهم كذّابون ممارون لا يرجعون إلى الحق .

(٧) بهتوني : كذبوا علي عندك .

الْبَيْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ فيكُمْ عَبْدُاللَّه بْنُ سَلام؟ قَالُوا: أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمنَا وَأَخْيَرُنَا. وَابْنُ أَخْيَرنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُاللَّه؟ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ منْ ذَلكَ. فَخَرَجَ عَبْدُاللَّه إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَوَقَعُوا فيه " رواه البخاري [1].

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ حديث رقم ٣٣٢٩ .

ما يؤخذ من الحديث :

١ — إعلام الرسول ﷺ بالمغيبات المستقبلية .

٢ — عداوة اليهود لبعض الملائكة الكرام .

٣ — إذعان عبد الله بن سلام للإسلام عندما تحقق من أن سيدنا محمد ﷺ هو النبي المرسل .

٤ — اليهود قوم كاذبون وغادرون ولا يوفون بعهدهم .

وقال شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين عن اليهود :

إن اليهود وقانا الله شرهمو ... في اللؤم قد بلغوا الأقصى من الرقم

كم استطالوا على من أرسلوا سفها ... وقتلوهم وكم آذوا لربهم

بالمصطفى استفتحوا من قبل مبعثه ... وبعده جحدوا المعروف كابنهم

العجل قد عبدوا والزور قد شهدوا ... والله قد جحدوا خاسوا بعهدهم

كم للربا أكلوا ؟ كم للخنا فعلوا ... لم ينه بعضهم بعضاً عن الجرم

****

تالله لو ملكوا الدنيا بأجمعها ... ما غادر الذل منهم موضع الشمم

٣٨- النبي ﷺ عند بئر أريس(*)

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لأَلْـزَمَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا. قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : خَرَجَ وَوَجَّهَ هَاهُنَـا[١] قَـالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ[٢] أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى وجدته دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ: فَجَلَسْتُ عِنْـدَ الْبَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَـهُ وَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا[٣] وَكَشَفَ عَنْ

(*) بئر أريس : بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء: بئر بالمدينة مقابل مسجد قباء ، قال أحمد بن يحيى بن جابر نسبت إلى أريس رجل بالمدينة من اليهود ، وفيها سـقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في السنة السادسة من خلافته ، واجتهد في اسـتخراجه بكل ما وجد إليه من سبيل فلم يوجد فاستدلوا بعدمه على حـادث في الإسـلام عظيم ، وقد كان قبله في يد أبي بكر رضي الله عنه ثم في يد عمر رضي الله عنه ، ويسمى بئـر الخـاتم لسقوط خاتم النبي ﷺ فيها من إصبع عثمان رضي الله عنه .

وتحدث عبد القدوس الأنصاري عن هذا البئر فقال : تقع هذه البئر غربي مسـجد قباء ، بنحو ٣٨ متراً ، وعمقها ١٢ متر ، وفي أسفلها فتحتان يجري منهما المـاء إلى قاع البئر ، وفتحة ثالثة توصلها إلى مجرى عين الأزرق ، وأريس اسم صاحبها وتاريخ حفرها مجهول ، ويستخرج الماء من البئر بواسطة السواني . وبئر أريس في سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . بئر جافة ليس بها ماء — معجم الأمكنة ص ٥٠

(١) ووجَّه هنا : بفتح الواو وتشديد الجيم أي توجه أو وجه نفسه.

(٢) على أثره : تبعته عن قرب .

(٣) القف : بضم القاف وتشديد الفاء حافة البئر . أو الدكة التي حولها وأصله مـا غلظ من الأرض وارتفع والجمع قفاف .

سَاقَيْهِ وَدَلاهُمَا فِي الْبِئْرِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] الْيَوْمَ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَدَقَّ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. فَقُلْتُ :عَلَى رِسْلِكَ[٢]. ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ: فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ. فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ. فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ[٣]. ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي[٤] يَتَوَضَّأُ

---

(١) ظاهره أنه اختار ذلك وفعله من تلقاء نفسه وقد صرح بذلك في رواية محمد بن جعفر فزاد فيه " و لم يأمرني " وقد وقع في رواية أبي عثمان "أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمر بحفظ باب الحائط " ووقع في رواية عبد الرحمن بن حرملة " فقال : يا أبا موسى أملك علي الباب ، فانطلق فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقعد على قف البئر " وفي رواية " أملك الباب فلا يدخلن علي أحد " وقد جمع ابن حجر بين هذه الروايات فقال : فيجمع بينهما بأنه لما حدث نفسه بذلك صادف أمر النبي ﷺ بأن يحفظ عليه الباب ، وأما قوله و لم يأمرني ، فيريد أنه لم يأمره أن يستمر بواباً وإنما أمره بذلك قدر ما يقضي حاجته ويتوضأ ثم استمر هو من قبل نفسه .

(٢) على رسلك بكسر الراء: تمهل وتأن .

(٣) كشف أبو بكر ﷺ عن ساقيه موافقة له ﷺ وليكون أبلغ في بقائه على حالته وراحته بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فربما يستحي منه فيرفع رجليه الشريفتين.

(٤) قوله : " وقد تركت أخي يتوضأ " كان لأبي موسى أخوان أبو رهم وأبو بردة ، أي: وقد كنت قبل تركت أخي أبا بردة وعامر ، أو أخي أبا رهم يتوضأ ويلحقني فقلت إن يرد الله بفلان خيراً يريد أخاه أبا بردة أو أبا رهم.

وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ خيرا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ. فَجِئْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ: ادخل وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ[1]. فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ. ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ[2] فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ. فجئتُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ[3]. قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ ادْخُلْ وبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ على بَلْوَى تُصِيبُكَ[4]. فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ[5] فَجَلَسَ وِجَاهَهُ[6] مِنَ

---

(١) زاد في رواية : فحمد الله .

(٢) يعني أخاه .

(٣) هي البلية التي صار بها شهيداً يوم الدار من أذى المحاصرة والقتل وغيره، وفي مسند أحمد عن ابن عمر : قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فمر رجل فقال : " يقتل فيها هذا يومئذ ظلما " فنظرت فإذا هو عثمان .

(٤) زاد في رواية : فحمد الله ثم قال الله المستعان ، وفي رواية فجعل يقول "اللهم صبراً حتى جلس " .

(٥) قد مليء : أي بالنبي ﷺ وأبي بكر وعمر.

(٦) وجاهه : أي مقابله من الشق الآخر ،قال سعيد بن المسيب . فأولتها قبورهم قال ابن حجر فيه وقوع التأويل في اليقظة وهو الذي يسمى بالفراسة والمراد اجتماع الصاحبين مع النبي ﷺ في الدفن وانفراد عثمان في البقيع . قال النووي : وهذا من باب الفراسة الصادقة .

الشَّقِّ الآخَرِ" رواه البخاري ومسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي — باب قول النبي : " لو كنت متخذا خليلاً " حديث رقم ٣٦٧٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عثمان.

ما يؤخذ من الحديث :

١ — حرص الصحابة على الوضوء قبل الخروج لملازمة رسول الله ﷺ.

٢ — الاستئذان قبل الدخول وانتظار الإذن بالدخول .

٣ — إعلام الرسول ﷺ بالأمور الغيبية للخلفاء الراشدين .

٤ — جواز تمني الخير للأخ .

٥ — جواز الكشف عن الساقين تمثلاً بالكبير .

٦ — عند امتلاء المكان بالجالسين فإنه يجلس في مواجهة الكبير وليس خلفه.

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين :

إن قيل من بعد أهل الوحي منزلة ... فقل صحابة خير الخلق كلهم

بالخير فاذكرهمو واحذر إساءته ... بأن تسيء أمرءًا منهم بلا جرم

الله الله في صحبي فحبهمو ... حبي وبغضهمو بغضي وذو ألمي

الله لي اختارهم أكرم بخيرته ... من سبهم فعليه لعن منتقم

٣٩- أجوبة سيدنا عبد الله بن عمر لرجل من مصر عن سيدنا عثمان

عنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أنه جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ[1] فقَالَ لَهُ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ[2]؟ قَالَ: نَعَمْ. فقَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ[3] قَالَ ابْنُ عُمَرَ[4]: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ- أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ[5] وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ[6] رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً. فَقَالَ لَهُ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح : لم أقف على اسمه وقيل إنه يزيد بن بسر السكسكي .

(٢) الذي يظهر من السياق أن السائل كان ممن يتعصب على عثمان ﷺ فأراد بالمسائل الثلاثة أن يقرر معتقده فيه.

(٣) قال الرجل : الله أكبر مستحسناً لجواب ابن عمر لكونه مطابقاً لمعتقده .

(٤) قال ابن عمر : أي مزيلاً اعتقاده .

(٥) أي في قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ آل عمران/ ١٥٥ .

(٦) أي رقية فأمره النبي ﷺ بالتخلف فتخلف هو وأسامة بن زيد ، وأنها ماتت حين وصل زيد بن حارثة بالبشارة وكان عمرها عشرين سنة .

قال ابن إسحاق ويقال : إن ابنها عبد الله بن عثمان مات بعدها سنة أربع من الهجرة وله ست سنين .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ[١] وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ[٢] وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ[٣] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ[٤] فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ فَقَالَ هَذِهِ لِعُثْمَانَ[٥] فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ[٦] "رواه البخاري [٧] .

---

(١) بقول الرسول ﷺ : هذا قد حصل له المقصود الأخروي والدنيوي .

(٢) أي إلى أهل مكة ليعلم قريشاً أنه ﷺ إنما جاء معتمراً لا محارباً .

(٣) قال القسطلاني : شاع في غيبة عثمان أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون وبايعهم النبي ﷺ تحت الشجرة أن لا يفروا.

(٤) أي بدلها فضرب بها على يده اليمنى.

(٥) هذه البيعة لعثمان أي عنه ولا ريب أن يده ﷺ لعثمان خير من يد عثمان لنفسه.

(٦) أي بالأجوبة التي أجبتك بها الآن معك حتى يزول عنك ما كنت تعتقده من عيب عثمان . قال الطيبي : قال له ابن عمر تهكماً به : أي توجه بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعدما بينت لك .

(٧) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب عثمان بن عفان حديث رقم ٣٦٩٨ .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه (وحي الحديث) :

عثمان – رضي الله عنه –

واذكر بخير صاحب النورين مـن جمع الكتاب فحق فيـه ثناكـا
كـم في سـبيل الله أنفـق مالـه والعسره انقلبت بـه يسـراكا
ذو الهجرتين وذو المشـاهد كلـها إلا ببـدر عـذره كسـماكا
يا ذا الحياء الجم منك قد استحت أملاك ربك من مزيـد حياكـا
وحفرت رومة حسـبة ووقفتـها للمسلمين رشاؤهم كرشاكا[1]
ما جمعة مـرت عليـك ولم ينـل بعض الرقيق على يديك فكاكا
وليت قرباك الأمـور ليخلصـوا فأتى إليك الشر مـن قرباكـا
ما اختـرهم إلا العـلاج وربمـا آذاك أو أدى لعكـس رجاكـا
ولقد يسوءك مـن تكرمـه وقـد تجني عليـك ولم تـرد كفاكـا
ووليتهم سـتا ومـا نقمـوا بهـا خلقاً ومـا عـابوك في مأتاكـا
والستة الأخرى عليـك تألبـت لهوى النفوس وجهلها أعـداكا
لم يرهبـوك لسـنك العـالي ولم يرعوا خلافتـه الـتي ولا كـا
وتسلقوا السور المنيـف وأنزفـوا بالسيف جهلاً غاليات دماكـا
ثلموا بقتلـك في الحنيفـة ثلمـة ما سدها أحـد ليـوم لقاكـا
قتلـوك مظلومـا ومحصـورا ولم تطعم وكنت على أحر صـداكا
لتكون في الشهداء والخلفاء والـ ـكرماء والقراء مـا أقراكـا
باءوا بما بـاءوا وبـؤت بنعمـة وعلى البغاة الله مـن قتلاكـا

(١) رومة : بئر . وحسبة : لأجله تعالى . الرشاء : الحبل

٤٠- بنت الرسول ﷺ تشكو أثر الرحا

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ فَاطِمَةَ - رضي الله عنها - شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ[١] الرَّحَا فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ"[٢] فَانْطَلَقَتْ[٣] فَلَمْ تَجِدْهُ فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا[٤]. فَذَهَبْتُ لأَقُومَ فَقَالَ[٥]: عَلَى مَكَانِكُمَا[٦]، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: أَلا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي[٧]؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتَحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ[٨] "رواه البخاري [٩].

---

(١) الأثر : البقية وزاد شعبة مما تطحن .

(٢) السبي : الجواري .

(٣) فانطلقت : أي انطلقت إليه فاطمة تسأله خادماً .

(٤) أي من الليل .

(٥) أي النبي ﷺ.

(٦) أي الزما مكانكما .

(٧) زاد في رواية السائب عن علي: قالا بلى ، قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام .

(٨) قال ابن تيمية : إن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء ؛ لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك . قال القاضي عياض : معنى الخيرية أن عمل الآخرة أفضل من عمل الدنيا.

(٩) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب علي رقم ٣٧٠٥.

ويقول شيخنا الخطيب ﷺ في ديوانه مجامع الأنوار :

كم يُسِّرت بالذكر مُعْسِرَةٌ وكم أدى بيسر مـا يشـق فتـاه

وقال أيضاً :

إن قيل من أهنا الورى عيشا فقل من هام بالأذكار هـم أهنـاه

أين الملوك وعـزهم مـن عـزه بل من نعيم فؤاده وصـفاه؟

ملك بـلا ملـك يـدبر أمـره بـل أمـره لمليكـه ألقـاه

أنى يسـاويه مُـدَبِّر غـيره وبه يلاقي كـل مـا عنـاه

ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى كتاب شيخنا الإمام الخطيب (مـن أسـرار الذكر) .

٤١- الإمام علي يخطب بنت أبي جهل على الزهراء

عَنِ الْمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ﷺ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ[١] فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ[٢] وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ[٣] بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ[٤] بْنَ الرَّبِيعِ[٥] فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي[٦]. وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ

---

(١) اختلف في اسم ابنة أبي جهل فروى الحاكم أن اسمها : جويرية ، بضم الجيم ، وقيل العوراء ، وقيل الحنفاء ، وقيل جرهمة ، وقيل جميلة .

(٢) أي إذا أوذين .

(٣) ناكح : أي يريد أن ينكح بنت أبي جهل ، فأطلق عليه اسم ناكح مجازاً باعتبار قصده له .

(٤) هو لقيط بن الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف. تزوج زينب بنت رسول الله ﷺ قبل البعثة وقد أسر ببدر وفدته زينب فشرط عليه أن يرسلها إليه فوفى له بذلك ثم أسر مرة أخرى فاجارته زينب فاسلم فردها النبي ﷺ إلى نكاحه وولدت أمامة التي كان الرسول يحملها وهو يصلي . مات سنة ١٢ هـ

(٥) أي ابنته عليه الصلاة والسلام زينب أكبر بناته وكان ذلك قبل النبوة .

(٦) فحدثني وصدقني : أي في حديثه . قال ابن حجر : ولعله كان شرط عليه أن لا يتزوج على زينب فلم يتزوج عليها وكذلك علي، فإن يكن كذلك فيحتمل أن يكون نسى ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط لكن كان ينبغي له أن يراعى هذا القدر فلذلك وقعت المعاتبة ، وكان رسول الله ﷺ قل أن يعاتب أحدا بما يعاب به ولعله إنما جهر بمعاتبة علي مبالغة في رضا فاطمة – رضي الله عنها.

أَنْ يَسُوءَهَا[١]. وَاللَّه لا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّه عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ[٢] "رواه البخاري [٣] .

---

(١) يسوءها : أي يحزنها.

(٢) كانت هذه الواقعة بعد فتح مكة. قال ابن داود فيما ذكره المحب الطبري: حرم الله عز وجل على عليٍّ أن ينكح على فاطمة حياتها لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ الحشر/ ٧.

(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي باب ذكر أصهار النبي حديث رقم ٣٧٢٩.

يقول شيخنا الخطيب في ديوانه رباعيات الخطيب :

خلالك طيبات عاليات ... أصولك شامخات باذخات

فروعك نيرات طاهرات ... وسيلتنا إذا كان البلاء

ويقول في ديوانه الروضات :

يا ماجداً يا والد الأمجاد ... فاقت جدودك سائر الأجداد

الله طهرهم وبيض وجههم ... وسواهمو ألقى لهم بمقاد

أنت الخيار من الخيار ولم تزل ... منك الخيار برغم كل معاد

٤٢- المخزومية السارقة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ[١] سَرَقَتْ[٢] فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا؟ فَلَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يُكَلِّمَهُ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[٣] فَقَالَ[٤]: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ[٥] وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ؛ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ[٦] لَقَطَعْتُ يَدَهَا[٧]

---

(١) اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي .

(٢) السرقة : أخذ المال خفية ظلما من حرز مثله ، والأصل في القطع بها مثل الإجماع قول الله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " المائدة.

(٣) وفي رواية : أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ .

وجاء في رواية أن المخزومية عاذت بأم سلمة ، وفي رواية أنها عاذت بزينب بنت أبي سلمة وفي رواية أنها عاذت بعمرو بن أبي سلمة ، والجمع بين الروايات ، أنها عاذت بأم سلمة وابنها فشفعوا لها إلى النبي ﷺ فلم يشفعهم فطلب الجماعة من قريش من أسامة بن زيد الشفاعة ظنا منهم بأن النبي ﷺ يقبل شفاعته لمحبته .

(٤) أي الرسول ﷺ له ولغيره .

(٥) فلم يقطعوا يده .

(٦) أي بنت محمد ﷺ .

(٧) خص المثل بفاطمة — رضي الله عنها — لأنها كانت أعز أهله عليه .

وفي الحديث دليل على تحريم الشفاعة في الحدود وهو مقيد بما إذا كان قد وقع الرفع إلى الإمام لا قبل ذلك فإنه جائز .

وفيه منقبة عظيمة لأسامة بن زيد وكانوا يسمونه حب رسول الله ﷺ أي محبوبه لما يعرفونه من منزلته عنده ؛ لأنه كان يحب أباه قبله .

" رواه البخاري [1] .

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد حديث رقم ٣٧٣٣ .

ويقول شيخنا الخطيب في ديوانه بشرى العاشقين :

والملة السمحة الغراء جئت بها	نور من الله يجلو داجي القتم [1]
الناس أجمع في أحكامها شَرَعٌ	فذو الثراء كرب الخلة العدم [2]
عمت وتمت فلو أن الورى أخذوا	بحكمها لغدوا في أوثق العصم
هي الدواء لداء الكون أجمعه	والله ما غيرها يشفي من الوصم
إن الدواء عليم الداء قدره	فيه الشفاء لداء الفرد والأمم
هل ملة غيرها للخير جامعة	تكفلت بنجاح البدء والختم
حثت على البر والتقوى ونبذ هوى	والحق والصبر والإيفاء بالذمم

(١) القتم : الظلام .

(٢) شرع : سواء . والثراء : الغنى . الخلة : الفقر .

من مؤلفات الشيخ الإمام / محمد خليل الخطيب

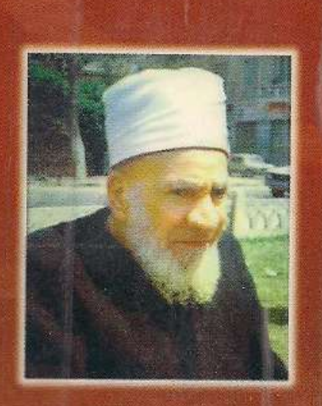
- تفسير الخطيب النيدي للقرآن الكريم .
- إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام (٥٧٢) خطبة مشروحة منسقة حلّ بها مشاكل الدنيا والآخرة .
- غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب- أول كتاب يجمع شعره مشروحاً مستفيضاً لائقاً بمكانته .
- ألفية الخطيب وشرحها – أجمع كتاب في فن الصرف .
- القصص الحق لسيد الخلق ﷺ بأسلوب النبي ﷺ مشروحة شـــرحاً جامعاً (خمسة أجزاء) .
- شرح وترتيب حكم ابن عطاء الله السكندري .
- نظم حكم ابن عطاء الله السكندري .
- التراجم المهمة للأربعة الأئمة .
- رباعيات الخطيب .
- روضات الخطيب .
- مجامع الأنوار .
- بشرى العاشقين .
- وحي الحديث .
- ديوان الإمام علي كرم الله وجهه .
- ديوان الإمام الشافعي وشرحه .
- ديوان الخطيب عدة أجزاء .
- حكمة الرجز .
- تشطير الخطيب للامية ابن الوردي وشرحها .
- حكم الخطيب .

- ❖ منظومة الآداب .
- ❖ ديوان أبي الفتح البستي وشرحه .
- ❖ تقريب صحيح الترمذي وشرحه .
- ❖ صورة المجتمع الكبرى .
- ❖ من أسرار الذكر .
- ❖ الوسيلة والتوسل .
- ❖ رسالة الصيام .
- ❖ بداية التعرف في شرح نقاية التصوف .
- ❖ النظم الأسنى لشرح أسماء الله الحسنى والنظم المقبول لشرح أسماء الرسول ﷺ .
- ❖ مناسك الحجاج .
- ❖ إتحاف الذاكرين .
- ❖ رسالة الجهاد
- ❖ الفتاوى .
- ❖ مدرسة الشعراء .
- ❖ شرح أمثال القاسم ابن سلام .
- ❖ إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .
- ❖ الأحاديث المختارة في البخاري وشرحها (خمسة أجزاء) .
- ❖ إتحاف السادات بأحكام الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات ﷺ وتخريج أحاديث دلائل الخيرات .
- ❖ الجنة في شرح عقيدة أهل الجنة .
- ❖ شرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذي .
- ❖ فصل المقال في مسألة السيدين عيسى والمهدي واللعين الدجال.

الفهـــــرس

محمد خليل الخطيب النيدي

مطبعة المعارف
٠٤٠ / ٣٣٥٩٠٨٥



فضيلة الإمام / محمد خليل الخطيب النيدى
شاعر الرسول ﷺ

فى هذا الكتاب

القصة الصادقة - والعظة البالغة - والبلاغة المعجزة

اثنتان وأربعون قصة بأسلوب النبى

صلى الله عليه وسلم

الطبعة الاولى
إصدار ٢٠٠٧